كتاب

تحفة الأدب ونزهة العرب

مقدمة صدقة نجوى أهل المقامات السرية
ومقدمة صبر أهل اللقاء في جيش المقامات الحريرية

تأليف

الحبيب علي بن حسن العطاس

****

إعتنى به حفيده

احمد بن عمر بن طالب العطاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وبه نستعين ، على أمور الدنيا والدين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمابعد : فهذا كتاب **(تحفة الأدب ونزهة العرب)** المسمى بمقدمة صدق نجوى أهل المقامات السرية ، ومقدمة صبر أهل اللقاء في جيش المقامات الحريرية . يحوي على مواضيع مختارة من كتاب مقامات الحريري ، لسيدنا وحبيبنا الإمام الهمام أباالحسن الحبيب علي بن حسن العطاس نفعنا الله به وبعلومه في الدارين آمين . وهو من الكتب التي أوصى بمطالعتها وقرائتها في كتابه : العطية الهنية حيث قال رضي الله عنه فيها مانصه : وليكن لك مطلب فيما أمكن أن تطلب من كتب الأدب كالنحو وغيرها ، ولاتكرهن المطالعة في كتاب مقامات الحريري بعد العبور فيها على شيخ يبين لك معانيها ؛ فإنها مما اعتنى بها السلف . قال الشيخ احمد بن عجيل : مقامات الحريري طبق الحلوى . إلى آخر ما أورده رضي الله عنه وأرضاه . وقد قمت بحمد الله وعونه وتوفيقه قبل البدء في كتابتها بقرآءتها أكثر من مرة ، ومراجعتها على النسخة الأم من مقامات الحريري للتأكد من صحة بعض العبارات حيث كما هو معلوم إن المخطوطات أحيانا يكون فيها تصحيف أوسبق قلم . وقد أضفت إليها بعض المواضيع التي رأيتها مناسبة نقلا من النسخة الأم وذلك إمتثالا لماوردني وأشار به علي أخي وحبيبي وشيخي وصنوي الأخ المرحوم احمد ابن سيدي الوالد علي بن احمد بن

عبد الله بن طالب العطاس رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه الجنة دار القرار في بعض مكاتباته جوابا على مكاتبة واستلام بعض من الكتب التي قمت بإعادة طباعتها وتحقيقها ، قال في أثنائها مانصه : لا تعبأ بقول القائل : ماترك للأواخر شيئا الأوائل . بل القول الصحيح ، الظاهرالمليح : كم ترك الأوائل للأواخر . فالشيء يمدح ويذم لجودته ورداءته لالقدمه وحدوثه . ويقال ان أضر كلمة بالعلم قولهم : ماترك الأوائل شيئا للأواخر . لأنه يقطع بالآمال عن العلم والسعي فيه . والجد والإجتهاد في تحصيله ، ويحمل على التقاعد عنه . فيقتصر الآخرعلى ماقدم الأول من الظواهر . وهو خطر عظيم وقول سقيم . ولايضر الصائح قفا الصائح . إلى أن قال فيها : وقد قالوا : إن العالم العاقل لايؤلف إلا في شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أوشيء ناقص فيتمه ، أوشيء مغلق فيشرحه ، أوشيء طويل فيختصره ، أومتفرق فيجمعه ، أوشيء أخطأ فيه مؤلفه فيصلحه . إلى آخر المكاتبة . ولهذا فقد أضفت بعض المواضيع زيادة على ماذكره المؤلف بغرض الإفادة والإستفادة . مع العلم أن الزيادات التي وضعتها عملتها بين قوسين وبحجم خط أصغر حتى لاتلتبس على القارئ والمراجع . وهذا الكتاب هو من ضمن سلسلة كتب الحبيب علي بن حسن المذكور الذي تشرفت بطباعتها وتحقيقها ومراجعتها وفهرستها . والحبيب علي بن حسن وموروثاته العلمية تعتبر مدرسة جامعة للعلوم الدينية والدنيوية . فالحمد لله الذي جعلني من المنتسبين له نسبا وعلما . وأسال الله الكريم أن يجعل عملي فيما قمت به خالصا مخلصا لوجهه الكريم ، ومقربا إلى جنات النعيم ، وأن يغفر لي

خطيئتي بوم الدين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه راجي عفو الله حفيده احمد بن عمر بن طالب العطاس

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين   الأحساء : ١٤٢٥/٦/١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، الحمد لله المبدئ المعيد ، المعطي المزيد ، المقني المفيد ، المحيي المبيد ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، مما يجب على العبيد ، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد ، أحمده وأشكره وأشهد له بالتوحيد ، وأصلي وأسلم على رسوله محمد الحميد ، وآله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الوعد والوعيد .

وبعد : فإن كتاب مقامات الحريري من الكتب النافعة ، والنخب الشائعة ، ولاينبغي لذي حلم وفهم ، وطالب علم وحكم ، أن يغفل عن المطالعة والمراجعة فيه ، وهو مما حصل به الإنتفاع ، وحصل على الإقبال عليه الإجماع ، وخرق منادي بركته جميع الأسماع ، حتى روي أن بعض العلماء الكبار حبس ومنع من جميع خزائن كتبه مع كثرتها وقيل له إختر أي كتاب شيئته منها لانعطيك سواه ، فاختار كتاب المقامات المذكورة . وأنا لما سمعت مايقال : أن من لم يرى الهند فكأنما لم يرى الدنيا ، قلت : ومن لم يرى كتاب مقامات الحريري فكأنما لم يرى من كتب الأدب شيئا . وكان غالب السادة الصوفية من لدن مصنفها إلى الآن يؤثرون مطالعة هذا الكتاب ؛ ويرون أنه من اللباب ، حتى كان سيدنا عبد الله ابن علوي الحداد يحب قرآئتها ، كان مرتب قرآئتها يوم الثلوث ، وكتاب ربيع الأبرار للزمخشري وكتاب المستطرف في الكلام المستظرف وغالب كتب الأدب وكتب السير مرتب قرآئتها يوم الثلوث رضي الله عنه ونفع به .

وكان الشيخ علي بن عبد الله باراس تلميذ الوالد عمر آخر وقته لايشبع من قرآتها مع أنه أول وقته كان قد اجتنبها وربما عتبها . قالوا وشرحها بعض الصوفية كلها على طريقة الصوفية الوفية .

وكنا مرة عند الحبيب عمر ابن عبد الرحمن البار باعلوي والقارئ يقرأ فيها حتى انتهى القارئ إلى قوله في المقامة الإسكندرية وهي التاسعة الفضة الطرية : فلما نقلني إلى كسره وصيرني تحت أمره ، وأنساني طعم الراحة ، وغادر بيتي أنقى من الراحة ، قال رجل من الحاضرين : ومامعنى كسره ؟ فجعل الجماعة كل منهم يتكلم بكلام في تفسيرها ؛وأنا أعلم أن كسره نواحي البيت ، ولكني أردت ممازحة أهل البيت فقلت لهم : لعل هذا رجل من أهل الكسر ، لأن هذا الحال من القل والفقر هو الغالب عليهم ، وغالبهم أول مايبيعون خرش حريهم والماعون وأثاث البيوت ، فضحكوا وانبسطوا .

وقال مرة السيد علي بن عمر البار لوالده الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار وأنا حاضر : ياوالد سبحان الله ما أكثر محفوظات السيد علي بن حسن ! فقال له والده : وكيف لايكون كذلك ومعه المقامات ، أووهو من أهل المقامات .

ومن تدبر كتب الأئمة المصنفين من بعد مصنفها ولاسيما كتب الإمام النووي ومايشيرون إليها ويحيلون في النقل عليها وعلى كتب مؤلفها ؛ علم علو محلها وغزارة بلها ، ونداوة طلها في محلها ؛ فما أجلها ، وقد أحببت أن أعلق عليها هذه المقدمة لتكون لها كالترجمة التي عنها وعن

مصنفها مترجمة ، ونختمها بخاتمة نلتقط فيها من المقامات رب سطر وصافحة وقائمة ، وصدرتها برؤية لمقلة ليست عن فضائل وفواضل الفضلاء بنائمة . فإن طالعتها فسترى إن شاء الله تعالى من الفوائد ماتكون لك ملائمة ، قائمة برد لائمة رب لائمة ، فاسأل الله لك ولنا حسن الخاتمة .

فأقول : رأيت في بعض الليالي في المنام كأن عندي نسخة من كتاب مقامات الحريري ؛ وكأن الرسم وهو العنوان الذي عليها كتاب (تحفة الأدب ونزهة العرب) فلما كان صبح تلك الليلة التي رأيت تلك الرؤيا فيها فتحت نسخة كانت عندي من الكتاب المذكور أطالع فيها ، فوقفت على المقامة الثامنة بعد الثلاثين ؛ فإذا مطلعها : حبب لي مذ سعت قدمي ، ونفث قلمي ، أن أتخذ الأدب شرعة ، والإقتباس منه نجعة ، فكنت أنقب عن أخباره ، وخزنة أسراره ، فإذا ألفيت بغية المتلمس ، وجذوة المقتبس ، شددت يدي بغرزة ، واستنزلت منه زكاة كنزه . وفي آخرها أعني المقامة المذكورة : تعسا لمن ترك الأدب ، وطوبى لمن جد فيه ودأب .

قال الراوي عفا الله عنه : فعلمت أن هذا الكتاب مطابقا لهذا الرسم ، وأنه حقيق أن يسمى بهذا الإسم ، فوضعته على النسخة التي عندي من المقامات رسما ، وجعلته في الوسامات اسما ء ، فمن أراد أن يثبته عليها فالأمر في ذلك إليه والسلام .

(فصل) وأنشدني شيخنا السيد الشريف الشيخ الإمام العلامة ، عفيف الدين ، وبقية المجتهدين : عبد الله بن السيد جعفر مدهر علوي ، لنفسه في آخر رجب سنة تسع وأربعين ومائة وألف :

أخي طـــــالع مقامات الحريري تحـلى في الوجــود المستنير
وفيك أشـهد ومنك أعلم وعـــلم وعنك أرو مقـامات الحريري
وجاهد والذي شاهدت واسجد سجود المستجير لدى المـجير
وحقق تشهد الأكوان جـــــمعا بتحقيق مقامات الحـــريري
فجامعها الذي جمع المعــــــاني يترجم بالبطون وبالظـــهور
وحارثها ابن هـمام بطـــــــون وظاهرها أبو زيـد الشـهير
وذالك وحده فاعلم وهـــــــذا تجلى كثرة الحـال الكـــثير
وذاك بالسذاجة في صــــــفاء وهذا بالتلبس في شـــرور
وذاك بالتوحيد في وقـــــوف وهذا بالتكثر في عـــبور
وذاك بالتخوف في خـــــفاء وهذا بالتعجرف في ظــهور
وذاك بالرواية في اكتـــــفاء وهذا بالـــــدراية في درور
وذلك في الأطـهار في طـــهور وهذا بالدساكر في خـــمور
وذاك بالسلامة في انخـــداع وهذا في الخداع على أمــور
أمور لاتزال تمور مـــــــورا دجى ظلماتها تبدو بـــــنور
عجائب من عجائب في عجـــائب محجــبة السرائر في سـتور
ألا فاستنطق الأشياء تنطـــق وتخبر بالحقـيقة عن خبــير
وإن تستبصرنــــــها باستماع ستعلم بالسميع وبالبصـــير

وكن مستحضرا غيبا لجمـــــــع لتبقى من مغيب في حضـور
وتحظى بالذي يحـــــظى وتبقى بتكميل السرائر في ســـــرور
وترقى للمعالي بالمعـــــــــاني وتستجني المجاني بالعصـــور

وفي طبقات الإمام العلامة ابن السبكي بعد أن ذكر الحريري وأثنى عليه قال : فإن تفقه الإمام الحريري على أبي إسحاق الشيرازي ، وأول ماصنف من المقامات الحرامية ، وذكر أن أبازيد كان صحيح الوجود على ماوصفه الحريري . قال : وكان بارعا في علم الفرائض .

وروي عن بعض المعتنين بهذا الكتاب : أن كل مقام سادسة فهي أدبية ، وكل أولت عشر فهي زهدية ، وكل خامسة عشر فهي هزلية . وأنشدوا للعلامة جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله تعالى في مدح المقامات :

أقسم بالله وآيـــــاته ومشعر الحج وميقاته
إن الحريري حري أن تكتب بالتبر مقاماته

وقال الشيخ عمر ابن علي ابن الفارض السعدي نفع الله به في تائيته شعرا :

وضـربي لك الأمثال مني منـــة عليك بشأني مــــــرة بعد مرة
تأمل مقامات السروجي واعتبر بتلوينه تـحمد قـبول مشورتي
تدر التباس النفس بالحس باطنا بمظهرها في كل شكل وصـورة
وفي قوله إن مان فالحق ضارب به مثلا والنفس غير مجـــــدة
فكن فطنا وانظر بحسك منصفا لنفسك في أفعالك الأثـــــرية

وشاهد إذا استجليت نفسك ماترى بغير مراء في المرائي الصقـيلة

قـالوا : وكان الشـيخ عمر بن علي ابن الفـارض المذكور صاحب التائية التي نظمها بتحقيق الصوفية لهذا المقامات الحريرية حتى أنه كان في بعض الزوايا بمكة يكرر هذا البيت من المقامات :

من الذي ماساء قط ومن له الحسنى فقط

فأجابه مجيب يسمع صوته ولايرى شخصه :

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

ولهذا تراه مثبتا في بعض نسخ المقامات . وستأتي في الخاتمة إن شاء الله تعالى هذه الأبيات التي أولها إذ قيل :

سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة بالغلط

(فصل) قال الشيخ القاضي احمد بن محمد خلكان في تاريخه المسمى (وفيات الأعيان) في حرف القاف : قوله في نسبه سكة حرام ابن محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري الحرامي ، صاحب المقامات : كان أحد أئمة عصره ، ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات ، واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز كلامها ، ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة إطلاعه وغزارة مادتة . قال وكان سبب وضعه لها ماحكاه ولده أبوالقاسم عبد الله قال : قال كان أبي جالسا في مسجد بني حرام فد خل شيخ ذو طمرين ، عليه أهبة السفر ، رث الحال ، فصيح الكلام ، حسن العبارة . فسألته الجماعة من أين الشيخ ؟ فقال : من سروج ؛ فاستخبروه عن كنيته ؟

فقال : أبوزيد . فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والأربعون ، وعزاها إلى أبي زيد المذكور . واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الإمام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأشار على والدي أن يضم إليها غيرها ، فأتمها خمسين مقامة . وإلى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله : فأشار من إشارته حكم ، وطاعته غنم ، إلي أن أنشئ مقامات أتلوا فيها تلو البديع ، وإن لم يدرك الظالع شأوالضليع . قال ابن خلكان : فهكذا وجدته في عدة تواريخ . ثم رأيت في بعض شهور سنة ست وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات بخط مصنفها الحريري وجمعتها ، وقد كتب على ظهرها : انه صنفها للوزير جلال الدين عماد الدولة أبي علي بن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد بالله أيضا . ولاشك أن هذا أصح من الرواية الأولى لكونه بخط المصنف ، والله أعلم . وتوفي الوزير المذكور في سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، فهذا كافي في مسنده وفي نسبتها للسروجي .

وذكر القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي وزير حلب ؛ في كتابه (أنباء الرواة على أنباء النحاة) أن أبا زيد اسمه المطهر ابن سلام ، وكان بصيرا نحويا لغويا ، وصحب الحريري المذكور واشتغل عليه بالبصرة وتخرج به . وروى عنه القاضي أبو الفتح محمد بن احمد المنداني الواسطي ملحة الإعراب ، وذكر أنه سمعها منه عن الحريري . وقال : قدم علينا واسط سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فسمعنا منه ، وتوجه إلى بغداد فوصلها وأقام مدة يسيرة وتوفي بها ، رحمه الله تعالى .

قال : وأما تسميته الراوي لها بالحارث بن همام ؛ فإنما عنى بها نفسه ، هكذا وقفت عليه في بعض شروحات المقامات ، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم (كلكم حارث وكلكم همام) فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الإهتمام . وما من شخص إلا وهو حارث همام ، لأن كل أحد كاسب ومهتم بأموره .

وقد اعتنى بشرحها خلق كثير ، فمنهم من طول ومنهم من اختصر . ورأيت في بعض المجاميع إن الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاها فلم يصدقه في ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا إنها ليست من تصنيفه بل هي لرجل من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه إليه فادعاها ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته فقال : إني رجل منشئ ، فاقترح عليه إنشأ رسالة في واقعة ، فانفرد في ناحية من الديوان وأخذ الدواة والورقة ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر المتقدم ذكره ، فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشد ابن أفلح ، وقيل أن هذين البيتين لأبي محمد بن احمد المعروف بن جكيتا الحريمي البغدادي الشاعر المشهور (وهي هذه) :

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف شعرته من الهوس

أنطقه الله بالمشـــــان كما رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس ، وكان مولعا بنتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن في مشان البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أخر وسيرهن واعتذر من عيه وحصره بالديوان بما لحقه من المهابة .

قال : وللحريري تآليف حسان منها : درة الغواص في أوهام الخواص ، ومنها : ملحة الإعراب المنظومة في النحو . وله أيضا شرحها ، وله ديوان رسائل ، وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات ، فمن ذلك قوله وهو حسن المعنى :

قال العواذل ماهذا الغرام به إنما الشعر في خديه قد نبتا
فقلت والله لوأن الفند لي تأمل الرشد في عينيه ماثبتا
ومن أقام بأرض وهي مجدبة فكيف يرحل عنها والربيع أتى

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثير . ويحكى أنه كان دميما قبيح المنظر ، فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيئا ، فلما رآه استزرأ شكله ففهم الحريري منه ذلك ، فلما التمس أن يملي عليه قال له أكتب :

ما أنت أول سار غره قـــمر ورائد أعجبته خضرة الـــدمن
فاختر لنفسك غيري إنني رجل مثل المعيدي فأسمع بي ولاتربي

فخجل الرجل وانصرف .

وكانت ولادة الحريري في سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وتوفي سنة ست عشر وخمسمائة وقيل سنة خمس عشر وخمسمائة بالبصرة في

سكة بني حرام . ونسبته بالحرامي إلى هذه السكة ، رحمه الله تعالى . وهو بفتح الحاء المهملة والراء وبعد الألف ميم ، وبنوحرام قبيلة من العرب سكنوا في هذه السكة فنسبت إليهم ، والحريري نسبة إلى الحرير وعمله أوبيعه ، والمشان بفتح الميم والشين المعجمة وبعد الألف نون ؛ بلدة فوق البصرة موصوفة بشدة الوخم .

وكان أصل الحريري منها ، يقال أنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة ، وأنه كان من ذوي اليسار ، وكان فاضلا نبيلا جليل القدر ، وله تاريخ لطيف سماه (صدور زمان الفتور ، وفتور زمان الصدور) نقل منه العماد الأصبهاني في كتاب (نصرة الفترة وعصرة القطرة) الذي ذكر فيه أخبار الدولة السلجوقية نقلا كثيرا . وتوفي الوزير المذكور سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة رحمه الله تعالى .

ثم قال ابن خلكان : وأما المنداني المذكور فهو أبو الفتح محمد بن أبي العباس احمد بن بختيار بن علي بن محمد بن إبراهيم بن جعفر الواسطي ، المعروف بابن المنداني ، فقد أخذ عنه جماعة من الأعيان كالحافظ أبي بكر الحرامي المتقدم ذكره . وكانت وفاته في الثامن من شعبان سنة خمس وستمائة رحمه الله تعالى . والمنداني بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومد الهمزة . والمعيدي يضم الميم وفتح العين المهملة وسكون المثناة من تحت وبعدها دال مهملة مكسورة ثم ياء مشددة . وقد جاء في المثل : تسمع بالمعيدي لا أن تراه . وجاء أيضا : لأن تسمع بالمعيدي خيرا من أن تراه .

قال المفضل الظبي : أول من تكلم به المنذر ابن ماء السماء ، قال لشقة ابن ضمرة التميمي ، وكان قد سمع بذكره فلما رآه اقتحمته عينه ، فقال له هذا المثل وسار عنه ، فقال شقة : أبيت اللعن إن الرجال ليسو بخرز تراد منها الأجسام إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فأعجب المنذر مما رأى من عقله وبيانه . وهذا المثل يضرب لمن له صيت وذكر ولامنظر له . والمعيدي منسوب إلى معد بن عدنان ، وقد نسبوه بعد أن صغروه وخففوا منه الدال .

(فائدة) قال محشي بغية السالك المسمى : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك في أول باب المبتدأ والخبر : الثالث قولهم تسمع بالمعيدي خيرا من أن تراه ؛ هو مثل يروى بالرفع وطرح إن . ويروى : أن تسمع بإثباتها يضرب للنابه الذكر ولامنظر له . قال العمان للصقعب بن عمر النهدي من قضاعة وكان يسمع ذكره فيستعظمه ، فلما رآه اقتحمته عينه ، أي احتقره . وقال المنذر أيضا لشقة بن ضمرة : إنما الرجل بأصغريه . فقال : فعلى الرواية الأولى له وجهان : أحدهما أن ينزل الفعل وإن المطروحة منزلة المصدر ؛ كأنه قيل سماعك بالمعيدي . والثاني أن يجعل الفعل نفسه كأنه المصدرفهو مبتدأ وخير خبره .

وفي الصحاح قال الكسائي : وفي المثل أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، وهو تصغير معدي منسوب إلى معد ، وإنما خففت الدال استثقالا للجمع بين التشديدتين مع ياء التصغير ، يضرب للرجل الذي له صيت وذكر في الناس فإذا رأيته إزدريت مرآه .

وقال ابن السكيت : تسمع بالمعيدي لا أن تراه . قال وكان تأويله تأويل إمرء ، أي تسمع به ولاتراه . قال : وجعل الناظم ابن مالك من ذلك قوله تعالى ﴿ **ومن آياته يريكم البرق** ﴾ بدليل ماقبله ومابعده . ونوع المؤلف يعني ابن هشام رحمه الله تعالى الأمثلة باعتبار ما السبب في تنزيله منزلة الإسم ؛ إن نائبة ومحذوفة ، وباعتبار ما السبب في تنزيله منزلة الإسم غير ما ؛ وهو همزة التسوية . انتهت الفائدة .

(قلت) وفي قوله صلى الله عليه وسلم (تمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا) إشارة إلى التخلق بخلق معد بن عدنان في عدم تكلف الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة والمساكن الواسعة ، لأنها لاتزيد قدر الإنسان في دينه ودنياه وأخراه رفعة ، ولاينقصه عدمها في درجاته فيها ضعة ، وإنما هي قراب السيف وحلية البندق وعش البازي كما سيأتي من قول المصنف في بعض أبيات المقامات شعراً :

مايضر العضب كون قرابه   خلقا ولا البازي حقارة عشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا   لوفور ملبسه ورونق نقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه   لرثاث ملبسه وقلة فرشه

ونرجع إلى كلام ابن خلكان : حكى أيضا في تاريخه إن الحافظ السلفي رأى الحريري في جامع البصرة وحوله حلقة وهم يأخذون عنه المقامات فسأل عنه فقيل له : إن هذا قد وضع شيئا من الأكاذيب وهو يمليه على الناس ، فنكيه ولم يعرج عليه .

(قلت) فانظر أيها السليم السالم من الحسد والغش المفضيين لأرتكاب ذكر العيوب والمثالم ؛ مافعله هؤلاء الظوالم من رد العالم من زيارة العالم ، ونسبة التعليم وهداية الصراط المستقيم إلى الأكاذيب والمظالم . ولاشك أن الحاسد يقلب الحسنة سيئة . ومن هنا دخل الغيار في الدين والدنيا في كل فيئة . وهذه المقامات من عجائب المصنفات ، ومن أقوى العلامات لصاحبها بنيل الكرامات وعلو المقامات .

قال ابن خلكان في ترجمة المسعودي محمد بن أبي السعادات عبدالرحمن المسعودي : اعتنى بالمقامات الحريرية وشرحها وأطال شرحها ، واستوعب فيه مالم يستوعبه غيره ، رأيته في خمسة مجلدات كبار ، ولم يبلغ أحد من شراح هذا الكتاب إلى هذا القدر ولا إلى نصفه ، وهو كتاب مشهور ، وهو كثير الوجود بأيدي الناس ، وكان مقيما بدمشق في الخانقاه الشمساطية ، والناس يأخذون عنه بعد أن كان يعلم الملك الأفضل أبا الحسن علي بن السلطان صلاح الدين ، قد تقدم ذكره . وحصل بطريقته كتبا عربية وبها استعان على شرح المقامات .

وحكى أبو البركات الهاشمي الحلبي قال : لما دخل السلطان صلاح الدين إلى حلب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ؛ نزل المسعودي المذكور جامع حلب ، وقعد في خزانة كتبها الوقف ، واختار منها جملة أخذها ولم يمنعه منها مانع . ولقد رأيته وهو يحشوها في عدل . ولقيت جماعة من أصحابه وسمعت منهم وأجازوني .

وقال ابن خلكان في تاريخه المشهور في ترجمة أبي محمد عبد الله بن أبي الوحش بزي بن عبد الجبار المقدسي الأصل ، المشهور في علم النحو واللغة والدراية : أنه صنف كتابا في الرد على أبي محمد بن الخشاب في الكتاب الذي غلط الحريري في المقامات ، وانتصر للحريري وما قصر فيما عمله . قال ورأيت له حواشي على كتاب درة الغواص في أوهام الخواص للحريري أيضا .

(فصل) أكثر ماتكلم من تكلم على الإمام الحريري في وضع المقامات بأنها موضوعة على ألسنة من لم يعرف لهم وجود ، ولم يذكروا في موجود ولامفقود ، وأظنهم نسبوه في ذلك بسبب جدالهم والمراء ، إلى التزوير والإفتراء ، وماقروا قول من أنزل إقرأ ؛ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ومن يدرى ، إن الله لايستحي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها صغرى أوكبرى ، الآيات .

(قلت) وسألني بعض أصحابي عن القصة الموضوعة على لسان الجارية المسماة تودد ، مع سيدها هارون الرشيد وغيرها مما يرشد ، وينبه ويسدد ؟ فأجبته بقول القائل في المثل السائر : كل من البقل ولاتسأل على من بقله . وبقول الحريري : إلعق العسل ولاتسأل . وبقوله في المنظوم والمشعور :

فكل ماحلي حين تؤتى به ولاتسأل الشهد عن نحله

ولو لم يجبهم حين يتكلم لجادلناهم بالحق عما تظلموا وتألموا ، على أنهم لم يرضوا عن من أفادهم تبرعا ولم يسلموا ، ولكنه قد أجابهم فقال في

خطبتها ونعم المقال الذي قال : وماقصدت الإحماض فيه ، إلا تنشيط قاريه ، وتكثير سواد طالبيه ، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست عليهما بنية : المقامة الحلوانية ؛ وآخرين تؤأمين ضمنتهما المقامة الكرخية ، وماعدى ذلك فخاطري أبوعذره ، ومقتضب حلوه ومره ، مع إعترافي أن البديع رحمه الله سباق غايات ، وصاحب آيات ، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتي بلاغة قدامة ؛ لايغترف إلا من فضالته ، ولايسري ذلك المسرى إلا بدلالته ، ولله در القائل :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو أن لاأكون في الهذر الذي أوردته ، والمورد الذي توردته ، كالباحث عن حتفه بضلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه ، فألحق بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، على أني وأن أغمض لي الفطن المتغابي ، ونضح عني المحب المحابي ، لا أكاد أخلص من غمر متجاهل يضع مني لهذا الوضع ، ويندد أنه من مناهي الشرع ، ومن نقد الأشياء بعين المعقول ، وأنعم النظر في مباني الوصول ، نظم هذه المقامات في سلك الإفادات ، وسلك بها مسلك الموضوعات ، عن العجماوات والجمادات ، ولم يسمع بمن نبأ سمعه عن تلك الحكايات ، أوأثم رواتها في وقت من الأوقات . ثم إذا كانت الأعمال بالنيات ، وبها إنعقاد العقود الدينيات ، فأي حرج على من أنشأ ملحا

للتنبيه لاللتمويه ، ونحا بها منحى التهذيب لا الأكاذيب ، وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب للتعليم ، أوهدى إلى صراط مستقيم . بيت شعر :

على أنني أرضى بأن أحمل الهوى   وأخلص منه لا علي ولا ليا

وبالله أعتضد فيما أعتمد ، وأعتصم مما يصم ، واسترشد إلى مايرشد ، فما الفزع إلا إليه ، ولا الإستعانة إلا به ، ولاتوفيق إلا منه ، ولا المؤمل إلا هو ، عليه توكلت وإليه أنيب . انتهى .

وستأتي الخطبة في أول الخاتمة لجلالها ، وكمالها بمكالها ، فعليك بحفظها وابتلالها ، فما سمعت في خطب المصنفات بمثالها ؛ ولانسج ناسج على منوالها .

(فصل) أذكر فيه أشياء مستحسنات مما أشار إليها الحريري في المقامات ، بأنها من سلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات ، وهي من باب ضرب الأمثال ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون** ﴾ [الآية ٣ العنكبوت] من أنطاق لسان الحال ، التي هي أنطق من لسان المقال . ومن تدبر الآيات والأخبار والآثار ، وسير السلف أهل التعبير والإعتبار ، وجدت مشحونة من ذلك المضمار . قال تعالى ﴿ **إن الله لايستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ [الآية ٢٢ البقرة] وقال تعالى ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ماقدروا الله حق قدره إن الله قوي عزيز** ﴾

[الآية ٧٤ الحج] وقال تعالى ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين** ﴾ [الآية ١١ فصلت] هذا أنطق ماحكاه الله عن الجمادات بلسان الحال ، التي هي أنطق من المقال لا القال . وفي حديث : لله أفرح بتوبة عبده من رجل ضلت عليه ناقته عليها زاده وماؤه ؛ فقال : في آخر ماقال النبي صلى الله عليه وسلم عنه من المقال ، فلما وجدها قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أراد أن يقول : أنت ربي وأنا عبدك .

وقال الشيخ عبد الرحيم بن نباته الواعظ المشهور في خطبته المشهورة : فلو قنعتم بساحاتها وأيهتم بساداتها ، لأجابتكم إعتبارا ؛ إن لم تجبكم حوارا ، فأنتم ياهؤلاء أطول من الأولين أعمارا ، أوأنبل من الماضين أخطارا . وهي مشحونة من هذا المعنى . فلو أردنا إيراد جميعه فيما جمعنا ، لأوردت الخطب النباتية بكمالها لفظا لامعنى ، من قبيل الرواية بالمعنى ، وهي جائزة كما سمعنا .

ومن ذلك كتاب كليلة ودمنة وما أحسنه وأفنه ، قال فيه : زعموا أن البعير تربع بالأسد . ومعنى قولهم تربع بفلان ؟ هو أنه طلب من الذي أجاره الإحاطة من جهاته الأربع وهي : القدام والخلف واليمين والشمال ، والثنتان اللتان من الجهات الست لامدخل للمخلوق في الإجارة فيهما ، وهي : الفوق والتحت . ومن هنا قال اللعين ﴿ **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين** ﴾ [الآية ١٧

الأعراف] ولم يذكر الفوق ولا التحت لعجزه عن الإتيان منهما . قال : ولبث البعير على ذلك برهة من الزمان في أخصب عيش وأمان ؛ يرعى في غيضة بجوار الأسد حتى تناهى في السمن ، فاتفق أن الأسد قاتل بقر الوحش فتعاونت عليه فغلبته حتى جرحته وأسقطته على جنبه ، فضعف عن كسبه ، واجتمعت عنده السباع لأنه سلطانها ذوالباع لتزوره ، فقال الثعلب : إنك ياسيدنا قد ضعفت عن الإكتساب وأنا أخشى عليك التلف والذهاب ، وأن هذا البعير قد سمن فلو أكلته لرجونا أن ترجع قوتك مثل ماكانت ، فانتهره الأسد وزجره وقال له : كيف أن آكله وهو في جواري ! قم يابطال لا أم لك ؛ ولاتعد تدخل علي بعدها ، فتكلمت السباع الحاضرة وتشفعت للثعلب بأنه لم يقصد بكلامه هذا إلا الخير والمنفعة . ثم إنها قامت إلى مكان آخر واجتمع رأيها بأن تجتمع الجميع عند الأسد وتقول له : لوقال لك البعير إذبحني واستنفع بلحمي ؟ فقال لها : اما إذا قال إذبحني فنعم ! فاجتمع رأيها بأن تجتمع مع البعير عند الأسد ويكون أول متكلم الغراب فيقول للأسد : مر الجماعة يذبحوني لك لتنتفع بلحمي فيكون جوابهم بأنك لاتسمن ولاتغني من جوع ، فيقول الثعلب كذلك ثم النمر كذلك وجوابهم الجميع كذلك حتى يكون آخر من يتكلم البعير ، فيقولون له : إذا قال أذبحوني صدقت ، ويبادرون بذبحه وافتراسه ، وقال الشاعر فيما نظمه على لسان العقرب شعرا :

رأيت على صخرة عقربا وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها إنها صخرة وطبعك من طبعها ألينا

فقـالت صدقت ولكنني　　　أريد أعرفها من أنــــا

وقالوا على لسان الجميع : من سل سـيف البغي قتل بـه . وقالوا أيضا : سمن كلبك يعقرك . وقالوا على لسـان نجم النـثرة أنهـا تقـول : لوحضرت لـيلة مـن ليـالي الشـتاء لبولـت الحمار دمـا . وقـالوا عـلى لسـان النخلة أنها تقـول : باعـدوا بيـني وبـين أخـتي مـني وعـلي ثمرهـا . وتقـول إذا قاربتها سـنة الحلي للعمل : هذه سـنة أوقدمة . وتقول لمـن طلـع فيهـا ويـأكل من ثمرها : صح وإلا أنا أصيح . وقال النجاشي فيما مثل بـه أنـه يخاطـب بـه الذئب ويراجعه ويجيب شعراً :

ومأن قديم العهد بالوبر داجــن　　　يخـــال رقانا أوصبيبا من الغسل
لقيت عليه الذئب يعوي كأنـــه　　　خليع خلا من كل مال ومن أهــل
فقلت له ياذئب هل لك في أخ　　　يواسي بلا من عليك ولابخـــــل
فقال هـداك الله إنك إنمـــــا　　　دعــــــوت بما لم يأته سبعٌ قبلي
فلست بآتيه ولا استطيــــعه　　　ولاك أسقني إن كان ماؤك ذا فضل

(فائدة) قال محشي بغية السالك المسمى أوضح المسالك إلى ألفيـة ابن مالك ، بعد أن أورد من الشعر ذلك : وقوله الرقـان بكسرـ الـراء هـو الزعفران ، وقيل الحناء ، والغسل بكسر الغين المعجمة مايغسل به الـرأس . قاله النجاشي : مثل عراض الذئب في سفره . فحكي أنه دعـي الذئـب إلى الطعام وقـال له : هـل لك في أخ ؛ يعـني النجاشي نفسـه ؛ يؤاسـيك مـن طعامـه بغـير مـن ولابخـل ، فقـال له الذئـب : دعـوتني إلى شيء لم تفعلـه السباع قبلي من مؤاكلة بـني آدم ولسـت بآتيـه ولامسـتطيعه ، ولكـن إن

كان في مائك فضل عما تحتاج إليه فاسقني منه . وهذا كلام وضعه النجاشي على لسان الذئب كأنه اكتفى بأنه لو كان ممن يعقل لقال هذا الكلام . وقد استشهد سيبويه رحمه الله تعالى في كتابه بالبيت المذكور .

ثم قال الشارح لأبياته : والشاهد فيه أنه حذف النون من لكن وهي متحركة ، وإنما تحذف إذا كانت ساكنة لأنها تشبه حرف المد واللين ، لأنها تكون إعرابا مثلهن ، وتحذف للجزم كما يحذفن ، فإذا تحركت لم يجز أن تحذف لزوال الشبه .

إنعطاف إلى الإتحاف ، بما يجني من ذلك الإقتطاف ، من الإشارات اللطاف ، قال الشيخ المحقق المدقق ، جمال الدين وبقية المجتهدين ، محمد بن موسى بن عيسى الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى في حرف الهمزة عند ذكر الأرنب : ومن أمثالها المشهورة قولهم : في بيته يؤت الحكم . قال : وهو مما وضعته العرب على ألسنة البهائم . قالوا : إن الأرنب إلتقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضب ، فقالت الأرنب : إسمع يا أباحنشل ، قال سميع دعوت ، قالت أتيناك لنختصم ، قال عادلا حكيما ، قالت : فاخرج إلينا ، قال في بيته يؤتى الحكم ، قال إني وجدت تمرة ، قال حلوة فكليها ، قالت : فاختلسها الثعلب ، قال لنفسه أراد الخير ، قالت : فلطمته ، قال بحقك أخذت ، قالت : فلطمني ، قال حرا اقتص لنفسه ، قالت : فاقض بيننا ، قال قد قضيت . فذهبت أقواله كلها أمثالا .

ثم استطرد الدميري قال : ومثل هذا أن عدي بن أرطأة أتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال : أين أنت ؟ فقال بينك وبين الحائط ، قال اسمع مني ، قال للإستماع جلست ، قال أتى رجل إلى أهل الشام ، قال مكان سحيق ، قال إني تزوجت إمرأة ، قال بالرفاء والبنين ، قال وشرط أهلها أن لاأخرجها ، قال أوف بالشرط ، قال إني أريد الخروج ، قال في حفظ الله تعالى ، قال فاقض بيننا ، قال قد فعلت ، قال على من حكمت ؟ قال على ابن أمك ، قال بشهادة من ؟ قال بشهادة ابن خالك . ثم قال الدميري : وشريح هذا ابن الحارث ابن قيس الكندي استقضاه عمر رضي الله عنه على الكوفة ، وأقام قاضيا خمسا وسبعين سنة ، فلم يتعطل إلا ثلاث سنين امتنع من القضاء ، واستعفى الحجاج من القضاء فأعفاه ، فلم يقض بين إثنين حتى مات رحمه الله تعالى .

ثم استطرد الدميري فقال : كان القاضي شريح من سادات التابعين وأعلامهم ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، وكان أحد السادات الطلس وهم أربعة : عبد الله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة ، والأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل ، ورابعهم شريح هذا . والأطلس الذي لاشعر في وجهه . وروي أن شريحا مرض له ولد فجزع عليه جزعا شديدا ، فلما مات لم يجزع ، فقيل له في ذلك فقال : إنما جزعي رحمة له وإشفاقا عليه ، فلما وقع القضاء رضيت بتسليم .

ثم قال الدميري : قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي : كتب زياد بن أبيه إلى معاوية : ياأمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالي ،

وفرغت يميني لطاعتك فولني الحجاز . فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو بمكة فقال : اللهم اشغل يمين زياد بما شيئت ، فأصابه الطاعون في يمينه ، فأجمع رأي الأطباء على قطعها فاستشار شريحا فيما رآه الأطباء ، فأشار عليه بعدم القطع وقال له : لك رزق مقسوم ، وأجل معلوم ، وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين ، وإن كان دنا أجلك أن تلقى الله مقطوع اليمين ، وإذا سألك لم قطعتها ؟ قلت فرارا من قضائك وبغضا في لقائك . قال فمات زياد من يومه ، فلام الناس شريحا على منعه من القطع لبغضهم لزياد ، فقال إنه استشارني ولولا أن المستشار مؤتمن لوددت أنه قطع يده يوما ورجله يوما وسائر أعضائه يوما .

ثم قال الدميري : قال ابن خلكان في ترجمة شريح : سئل عن الحجاج أكان مؤمنا ؟ قال نعم ! بالجبت والطاغوت ، كافرا بالله تعالى ، أبيه وإخوته وأمه سميه .

وماكان منه ومن معاوية بن سفيان من الأذى للإمام علي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين ، فعليه بمطالعة ترجمة يزيد بن زياد المعروف بابن مفرغ الحميري ، وكتاب تاريخ ابن خلكان . وقد نقلت تلك الترجمة برمتها وأثبتها في كتابي المسمى (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) بما فيها من الفوائد الجوامع في تلك الجوامع .

وأما قول القاضي شريح رحمه الله تعالى في الحجاج ابن يوسف الثقفي الطاغي المتفرعن الجائر في أحكام الله ، الجرئ على معاصي الله ، البغيض المؤذي القاتل أولياء الله ، فلاشك فيه ولامراء .

ولقد تذاكرنا في شأن الحجاج يوما عند الحبيب عمر ابن عبدالرحمن البار باعلوي فقلت له : لا أشك في كفر الحجاج بن يوسف الثقفي الكفر الأصلي ، وهو البغيض للإسلام وأهله على قاعدة سلفه ثقيف وبني أمية وبني حنيفة ، وهي الثلاث القبائل التي مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبغضها . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (إن في ثقيف كذابا ومبيرا) كما روته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . وقالت للحجاج حين أرسل لها يستدعيها إليه بعد قتل ابنها عبدالله بن الزبير بمكة ، فأبت أن تأتي إليه ؛ فجاءها بنفسه وخاطبها .

وذكروا من ضرب الأمثال على لسان الحال ، التي هي أنطق من لسان المقال ، مانقله الدميري من كتاب سراج الملوك للطرطوسي : أن عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى سميرا له يحدثه ؛ فكان فيما حدثه به أنه قال له : يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة ، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لإبنها ، فقالت بومة البصرة لا أفعل إلا أن تجعلي لي صداقها مائة ضيعة خراب ! فقالت بومة الموصل لآ أقدر على ذلك الآن ؛ ولكن إن دام والينا سلمه الله تعالى علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك ، فاستيقظ لها عبد الملك وجلس للمظالم ، وأنصف الناس بعضهم من بعض .

ومما مثلوا به لمن يصحب أهل الفضل ويفارقهم ويعقهم قالوا : إن الذبر صاحب النحل ، فلما علمه البناء فارقه ، فقال له النحل إذهب فإنك لم تتعلم صبيب العسل بعد .

ومن أمثالهم : تحككت العقرب بالأفعى . يضربونه للضعيف الذي ينازع القوي . واستنت الفصال حتى القرعى . يضربونه لمن يطلب مالايدرك لضعفه .

وقال الدميري المذكور : ومن ملح أبي أيوب سليمان ابن أبي مجالد ، قال خالد ابن أبي يزيد الأرقط : بينما أيوب في أمره ونهيه ، طلبه المنصور فاصفر لونه وارتعدت فرائصه ، فلما خرج من عنده تراجع لونه ، وكان ذلك دأبه كلما طلبه ، فقيل له إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه ، فضرب مثلا لذلك فقال : زعموا أن ديكا وبازيا تناظرا ، فقال البازي للديك : ما أعرف أقل وفاء منك ! قال وكيف ذلك ؟ قال لأنك تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم ، فيطعمونك بأكفهم حتى إذاكبرت صرت لايدنوا منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وصحت ، وإن علوت حائط دار طرت وتركتها وصرت إلى غيرها ، وأنا أوخذ من الجبال وقد كبر سني فأطعم الشيء اليسير فأونس يوما أويومين ثم أنطلق على الصيد فأطير وحدي ، فآخذ وأجيئ به إلى صاحبي ، فقال له الديك : ذهبت عنك الحجة ، أما لورأيت بازي سفود ، يغلي في قدر الوقود ، ماعدت إليهم أبدا كما أعود ، وأنا كل يوم ووقت أرى السفائد مملوءة ديوكا ، وأقيم معهم ، وأنا أولى منك لو كنت مثلك .

ثم قال أبوأيوب : وانتم لو عرفتم من المنصور ما أعرف لكنتم أسوأ حالا مني عند طلبه إياكم .

وقال ذكر للبغل : قيل للبغل من أبوك ؟ فقال الحصان خالي . يضربونه للمخلط في أمره ، المجيب بغير ما سئل عنه . ويقال له الظالم الأبله .

ومن الأمثال التي ضربها أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه حين بدت الخديعة من معاوية وعمرو بن العاص يوم صفين حين شاهدوا النصر لأمير المؤمنين ، فتحيلوا برفع المصاحف حتى قام النزاع بين سيدنا علي وأصحابه الخواص ، فقال حينئذ : زعموا أن الأسد أتى إلى غيضة فلقي فيها ثورين وحشيين فأراد قتالهما معا فغلباه ، فعدل إلى الحيلة والخديعة ، فقال للأبيض منهما : أنت أبيض وأنا أبيض وهذا أسود دعني أفترسه ونعيش أنت وأنا بعده في دعة ، وراحة وسعة ! فانخدع له ، فافترس الأسود ، فلما أكله رجع إلى الأبيض وقصد إفتراسه ، فقال أما تذكر مابيني وبينك من المصادقة وماتركته لك من دم أخي ؟ فلم يجبه وافترسه .

وفي المثل : جاؤا على بكرة أبيهم . قال أبو عبيدة معناه : جاؤا جميعا لم يتخلف منهم أحد . وليس هنا بكرة في الحقيقة .

ويقال أيضا في المأخوذين : مرَّطوهم . يعنون الآخذين من الحسب والدين . وهذا الأمران ليسا بجوهر يأخذهما الغائر أو إنهما عرضان ، وإنما ضربوا هذا لمن أخذته القوم ولم تبق له باقية مما معه .

ومن كتاب حياة الحيوان : ماروي أن نبي الله سليمان بن داود عليه السلام مر على بلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه ، فقال لأصحابه أتدرون مايقول ؟ قالوا لا ! قال إنه يقول : أكلت تمرة فعلى الدنيا العفا . وهو بالمد ، أي على الدنيا الدروس وذهاب الأثر ، وقيل : العفا التراب . ثم قال الدميري : وسيأتي إن شاء الله في باب العين في لفظ العقعق عن الزمخشري انه ذكر في تفسير قوله تعالى ﴿ **وكأين من قرية لاتحمل رزقها الله يرزقها** ﴾ [الآية ٦٠ العنكبوت] روي عن بعضهم : أن البلبل يحتكر القوت . وقالوا : هي العرب تقول ماشاءت .

وقالوا : لولا الحذف والتقدير لتعلمت النحو الحمير . وقالوا : ما الإنسان إلا صورة ممثلة أوبهيمة مهملة . يضرب في مدح القدرة على الكلام . ولهذا قال الحسن ابن سهل بن عبد الله السرخني لبنيه : يابني تعلموا النطق فإن فضل الإنسان على سائر البهائم به ، وكلما كنتم بالنطق أحذق كنتم أحق بالإنسانية .

وقال الدميري في كتاب حياة الحيوان الكبرى : وفي الحديث عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مثل الذي يفر من الموت كالثعلب تطلبه الأرض بدين ، فجعل يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره ، فقالت الأرض : أياثعلب ديني ديني فيخرج ، فلم يزل كذلك حتى انقطعت عنقه فمات . وقالوا : ألصق منه ، يضرب للرجل يلصق به من يكرهه فلايزال يهرب منه . وقالوا في المثل : أسير من المثل . للرجل كثير التنقل . وقالوا : تساير الجراد والغراب فقال الجراد للغراب أين زادك

؟ فقال الغراب زادي منك . يضرب مثلا للضعيف الغني الذي يساير الفقير القوي .

(قلت) وضربت مثلا للأمانة : فإن كانت بيد أمين غني فمثلها مثل الزرع إذا ربط عنده بعير قوي الرباط وافر المطعم ، وإن كانت عند غني فاجر فهو مثل البعير ركيك الرباط كثير المطعم يربط بشقه الزرع ، فربما تاقت نفسه وقطب الرباط ، وإن كانت بيد أمين فقير فمثله مثل البعير قوي الرباط قليل المطعم بشق الزرع ، فربما جاع وقطب رباطه القوي ، وإن كانت بيد فقير فاجر فمثله كمثل البعير ركيك الرباط قليل المطعم يربط بشق الزرع فهو قمن بغير شك يقطب الرباط ويأكل الزرع . والسلام . وقالوا على لسان البعير وجواب صاحبه من غير نكير :

شكى إلي جملي طول السرى ياجملي ليس إلي المشتكى

قال الدميري بعد نقله هذا البيت : فالمعلوم إن الجمل لاينطق وإنما أراد التجول ومقابلة الكلام بمثله . وقال الدميري قالوا : وقع القوم في سلا جمل . يضرب لمن بلغ في شدة منتهى غايتها . كما قالوا : بلغ السكين العظم . وذلك أن الجمل لايكون فيه سلا ، فأرادوا أنهم وقعوا في أمر صعب ، والسلا الجلدة الرقيقة التي فيها الولد من المواشي إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد وإلا قتلته . ثم قال : وهذا كقولهم : أعز من الأبلق العقوق . والأبلق هو من صغار الذكور ، والذكر لايحمل ، فكأنه قال : طلب الذكر الحامل . وقالوا : الثمر في البئر ، وعلى ظهر الجمل . وأصله أن مناديا كان في الجاهلية يقف على أطم من آطام المدينة حين يدرك الثمر

ينادي بذلك ، أي من سقى بماء البئر على ظهر الجمل بالسانية وجد عاقبة سقيه في ثمره . وهذا قريب من قولهم : عند الصباح تحمد القوم السرى . وقريب من قول الشاعر :

إذا أنت لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن الزرع

غيره :

تسألني أم الوليد جملا يمشي رويدا ويكون أولا

يضرب لمن طلب مالايكون ، هذا ظاهر البيت كله . أما قولهم : يمشي رويدا ويكون أولا ؛ يضرب للرجل يدرك حاجته في توءدة ودعة .

ثم قال الدميري في كتاب حياة الحيوان المذكور وأما قولهم : لاناقتي فيها ولاجملي . فسيأتي إن شاء الله في باب النون في الكلام على الناقة . وقالوا : أكمد من الحبارى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول : إن الظالم لايضر إلا نفسه ، فقال أبوهريرة : والذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت هزالا من خطايا بني آدم . قال الدميري : وهو كذلك لأنها إذا كثرت الخطايا منع الله تعالى القطر عن أهل الأرض ، وإنما يصيب الطير من الحب والثمر على قدر المطر .

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿ **أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ [الآية ١٥٩ البقرة] الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم . رواه ابن ماجه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . قال الدميري : فإن قيل جمع من لايعقل ؟ فالجواب لأنه أسند إليهم فعل من لايعقل ، كما قال تعالى ﴿ **رأيتهم لي ساجدين** ﴾ ولم يقل ساجدات .

وكقوله تعالى ﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا** ﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما : اللاعنون كل المخلوقات ماعدى الجن والإنس . وقيل : ماعدى الملائكة فقط . وأسند ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات عن أنس رضي الله عنه : إن الضب ليموت في جحره هزالا من ظلم بني آدم .

(قلت) ودليل قول أبي هريرة ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهما قوله تعالى ﴿ **واتقوا فتنة لاتصيبن الذي ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ [الآية ٢٥ الأنفال] وقوله تعالى ﴿ **إذا انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها** ﴾ [الآيات ١٢ – ١٤ الشمس] ولم يقل فعقرها . وذلك والله أعلم أنهم لما لم يأخذوا على يد الظالم ولم يردوه عن عقر الناقة الذي هو أعظم المظالم مع قدرتهم عليه ، لأنه تاسع التسعة الرهط الذين كانوا يفسدون في الأرض ولايصلحون . ومثل هذا ماجرى على قوم لوط الذين رماهم الله بالحجارة فقال ﴿ **وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود * مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد** ﴾ [الآيات ٨٢- ٨٣ هود] أي وماهي ببعيد من ظالمي هذه الأمة إذا لم ينكروا المنكر .

وفي الحديث : لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم أوليعمنكم الله بعذاب من عنده فيدعوا خياركم يعني برفعه فلايستجاب لهم .

وفي قصة بني إسرائيل الذي مسخهم الله تعالى قردة وخنازير أنهم مائة ألف ، منهم جماعة فعلوا المعصية وجماعة أنكروها ، ولم يعتزلوا الفاعلين وهم ستون ألفا ، وجماعة أنكروا المنكر واعتزلوا وهم أربعون ألفا . فلما نزل العذاب عم الفاعلين والمخالطين لهم ، ونجا المنكرون المعتزلون . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ **أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بيئس بما كانوا يفسقون** ﴾ [الآية ١٦٤ الأعراف] انتهى .

ومما مثل به لقوة حيلة الإنسان وغلبته بها جميع الجمادات والحيوان مانقله صاحب كتاب حياة الحيوان قال : روينا بالسند الصحيح عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى أنه قال : لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض لم يكن فيها غير النسر في البر والحوت في البحر ، وكان النسر يأوي إلى الحوت فيبيت عنده ، فلما رأى النسر آدم عليه السلام أتى الحوت وقال : ياحوت لقد أهبط اليوم إلى الأرض من يمشي على رجلين ويبطش بيديه ، فقال الحوت : لئن كنت صادقا فمالي منجأ منه في البحر ومالك منه مخلص في البر . يعني إن الإنسان يعمل بحيلته مايصطاد به الحوت في البحر والنسر في البر ، كما وقع منه ذلك . فسبحان الصانع الحكيم ، الذي يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثير ومايذكر إلا أولوا الألباب ، سبحان من خلق الخلق بقدرته ، وجعل بعضهم آفة بعض بحكمته ، عجبا عجبا عجبا لرب قدر ، ومَلَكَ وقهر ، تبارك الذي جعل في السماء بروجا ، وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ، تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ،

الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولد ولم يكن شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، إنا كل شيء خلقناه بقدر ، فقدرنا فنعم القادرون ، عند مليك مقتدر .

(قلت) وفي الحكم القديمة : لايزال بعض يخصم بعضا حتى يختصم الروح والجسد في القبر ، حين ينزل العذاب على المذنب ، فيقول الجسد للروح : ما أنا إلا فخار ملقى على الأرض لولا أنت دخلتني وحركتني لما قدرت على المعصية ، ويقول الروح للجسد : وإنما أنا روح من الأرواح لا آكل ولا أشرب ولا أشتهي ولولا أنت ماعصيت الله ، فيكون العذاب عليك دوني ، ويقول الجسد : بل العذاب عليك دوني . فيبعث الله ملكا يحكم بينهم ، فيضرب لهم مثلا بأعمى ومقعد قعدا في بستان فيه جميع الأثمار ، وكان الأعمى قويا على المشي غير أنه لايبصر ، والمقعد بصيرا غير انه لايمشي ، فنظر المقعد الأثمار وهو مثل الروح ، فقال للأعمى وهو مثل الجسد : إني أنظر أثمارا في هذا البستان فإن حملتني دللتك عليها وجنيتها وأكلتها ، فحمله الأعمى ومكنه من الجني ، فالعقوبة بينكما ، فينزل العذاب حينئذ بهما . ومذهب أهل السنة والجماعة أن عذاب القبر على الروح والجسد ، والله أعلم .

(قلت أيضا) وللشيطان قصة حين مر على آدم وهو جسد ملقى في الأرض وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح وهو الحين من الدهر الذي أشار إليه من له الخلق والأمر بقوله ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا** ﴾ [الآية ١ الإنسان] فحين رآه أنكره ودخل

من فمه وخرج من دبره ، وتعجب من تمثيله وتجويفه ، وعلم أنه لايطاق عند إظهار العداوة له ، فأبطن له الحيلة والمكر والخداع مع إظهار الصداقة ، حتى أنه لما أراد إخراجه من الجنة كان أول شيء بدأه به البكاء الكثير ، ولما سأله آدم عن سبب بكائه قال : خشيت عليكما . إلى آخر القصة ، وقاسمهما بالله ، أي حلف لهما بالقسامة وكان يحسن الظن بأن المخلوق لايحلف بخالقه كاذبا ، فانخدعا من هنا ، ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ [الآيات ١٢١-١٢٢ طه] فالحمد لله الذي جعل المعصية سببا للتوبة والهداية والإجتبا ، وجعل التوبة والهداية سببا للعطاء والإصطفاء ، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .

وقالوا في ضرب المثل في الفقير الذي يدعي الغنى : الخيل تعرف فرسانها . يقال في النهي عن إتباع الجاهل فيما يذهب إليه من دليله : البوم مأواه الخراب .

وقالوا في النهي عن إتباع الدنيئ الخسيس القصد : من تبع الدجاج دخل به المخوال . يعنون به الكنيف .

(فائدة) دوران الفلك على ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة ، مثاله : إذا دخل بعض الشهور في مدخل بعض النجوم لايعود مدخله مع مدخل ذلك النجم إلا بعد ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة ، والنجوم سيرها يتقدم ، والشهور تتأخر . فإذا جاء الشهر فعلا هذه السنة في نجم الدلو جاء السنة الثانية في نجم الفرغ . فسبحان ملك الأملاك ومدير الأفلاك ، ومسير الأفلاك .

ومن الأشجار مالايأتي ثمره إلا على دوران الفلك ؛ وهو ثلاث وثلاثون سنة وثلث سنة ، ومنها شجرة الصنوبر . ولهذا قالوا على لسان الحال بينها وبين شجرة اليقطين وهي الدبا تقول شجرة اليقطين لشجرة الصنوبر : إن المدة التي قطعتيها في ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة أنا قطعتها في أسبوعين . ويقال لك درة فتقول مهلا إلى أن تهب رياح الخريف ، فحينئذ يتبين لك إغترارك بالاسم .

ومن أمثالهم الموضوعة على لسان الضفدع التي قيل أنها لاتنعق حتى تملي فاؤها من الماء ، روي أن بعض الشعراء عوتب على قلة الكلام فأنشأ يقول شعراً :

قالت الضفدع قولا فسرته الحكماء　　في فمي ماء وهل ينطق من فيه ماء

وقالوا في أمثالهم قولهم : أنطقي يارخمة فإنك من طيور الله . وأصله إن الطير صاحت فصاحت الرخمة ؛ فقيل لها يهزأ بها : إنك من طيور الله فانطقي . يضرب للرجل الذي لايلتفت إليه ولايسمع منه لجهله وعدم إحسانه الكلام ، وربما كان من أولاد الصالحين الأولياء المقربين ، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . ولهذا قال بعض الأدباء حين سئل عن نسبه : أغناني أدبي عن نسبي . ولما نزل قوله تعالى ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ قال سيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه : ضاعت الأنساب .

وجاء رجل من قريش إلى سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وفاتحه في شيء من الخطاب ؛ فكأنه لم يفقه له ، فقال له : أفقه لي يابن

الخطاب فإني من أهل الأبطح ، فقال له سيدنا عمر : إن كان لك أدب فلك حسب ، وإن كان لك تقوى فأنت كريم ، وإلا فأنت حمار .

وقال الحريري في مقاماته كما سيأتي من لطائف كلماته في هذا المعنى وعلى هذا المنوال والمبنى ، في جوابه لمن قال : لوعلمت من أنا لما أسمعتنا الخنا ، ولكنك جهلت فقلت ، وحيث وجب أن تسجد بلت إلخ . ياويلة أبيك وعيلة أهليك ، أأنت في موقف فخر يظهر ، وحسب يشهر ؟ أم موقف جلد يكشط ، وقفا يشرط ، وهب أن لك البيت كما ادعيت ، أيحصل بذلك محجم فذا لك ، لا والله ولو أباك أناف على عبد مناف ، أو أن لخالك دان عبد المدان ، فلاتضرب في حديد بارد ، ولاتطلب مالست له بواجد ، وباهي إذا باهيت بوجودك لابجدودك ، وبمحصولك لا بأصولك ، وبصفاتك لابرفاتك ، وبأعلاقك لا بأعراقك ، ولاتطع الطمع فيذلك ، ولاتتبع الهوى فيضلك . وقال الحريري أيضا : تبا لمفخر يعظم مفخرا ؛ إنما الفخر بالتقى ، والأدب المنتقى ، ثم أنشد شعراً :

من يكن نال بالحماقة حظا ... فبقولي ارتفعت لابقيولي

(قلت) ولو كانت الأنساب تغني عن الجهد والإكتساب ، لما قال الله تعالى حين قال ﴿ **ونادى نوحٌ ربه فقال رَبِّ إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عَمَلٌ غير صالح فلا تسألني ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين**

*** قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين** ﴾ (الآيات : ٤٥-٤٧ هود)

(فائدة) قوله تعالى عمل بفتح اللام بلا تنوين نصب غير على المفعولية لا أنه صفة عمل ، فيصير عود الضمير في أنه على لفظ غير ، وهي قرآءة شاذة وإليها ميلي لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام محفوظون الذات ، وقرآءة الرفع لعمل وغيره فيها مافيها . فافهم جعلك الله فهيما نبيها كريما ، وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين سليما .

(فصل) ومما ضربوه من الأمثال لأجل التخصل بحميد الخصال مانقله الدميري في كتاب حياة الحيوان الكبرى قال : ذكر ابن الجوزي في كتاب الأذكياء ، وأبونعيم في حلية الأولياء عن الشعبي قال : مرض الأسد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب ، فنم عليه الذئب ، فقال الأسد إذا حضر فأعلمني ، فلما حضر أعلمه فعتبه في ذلك ، فقال كنت في طلب الدواء لك ، قال أي شيء ؟ فقال : خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج ، فضرب الأسد بمخالبه في ساق الذئب وانسل الثعلب ، فمر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل ، فقال له الثعلب : ياصاحب الخف الأحمر ؛ إذا قعدت عند الملوك فانظر إلى مايخرج من رأسك . ثم قال الدميري : قال الإمام الحافظ أبونعيم : إنما أراد الشعبي بهذا ضرب المثل وتعليم العقلاء ، وتنبيه الناس ، وتأكيد الوصية في حفظ اللسان ، وتهذيب الأخلاق . وفي ذلك قيل :

احفظ لسانك لا تقول   إن البلاء موكل بالمنطق

فتبتلى

وقال آخر :

إن السكوت سلامة ولطالما زرع الكلام عداوة وضرارا
ما قد غممت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

ومن ضرب الأمثال المحصلة للإعتبار ، من ذوي القلوب والأبصار والإستبصار والإختبار ، مانقله الدميري أيضا من كتاب الأذكياء لأبي الفرج ابن الجوزي عن المعافى بن زكريا : أن أسدا وثعلبا وذئبا اصطحبوا فخرجوا يتصيدون ، فصادوا حمارا وظبيا وأرنبا ، فقال الأسد للذئب أقسم بيننا صيدنا ؟ فقال الأمر أبين من ذلك ؛ الحمار لك والأرنب لأبي معاوية يعني الثعلب ، والظبي لي ، فخبطه الأسد فطاح رأسه ، ثم أقبل على الثعلب وقال قاتله الله ما أجهله بالقسمة ؟ هات أنت يا أبا الحصين ! فقال : يا أبا الحارث : الأمر أوضح من ذلك ، الحمار لغدائك ، والظبي لعشائك ، وتخلل بالأرنب فيما بين ذلك . فقال الأسد : قاتلك الله ما أقضاك ، من علمك هذه الأقضية ؟ قال : رأس الذئب الطائح عن جبينه .

وفي رواية عن الشعبي قال له الأسد : قاتلك الله ما أبصرك بالقضاء والقسمة ؛ من أين تعلمت هذا ؟ قال مما رأيت من أمر الذئب . وقال الدميري : ومن كلامهم الذي وضعوه على ألسنة البهائم : قالت السمكة : رد ياضب ، فقال : أصبح قلبي صردا ، لايشتهي أن يردا ، إلا عوادا عردا ، وصليانا بردا ، وعنكشا متلبدا . ثم قال الدميري : ولما كان

بين الحوت والضب هذا التضاد أشار إليه حاتم الأصم رحمه الله تعالى بقوله :

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفل بالأرزاق للخـــلق كلهم وللضب في البيداء والحوت في البحر

(فائدة) هذه الطريقة التي سلكها الشيخ الحريري النحرير ، المحقق البصير ، المرشد الخبير ، في وضع مقاماته التي هي الإكسير ، سلكها خلق كثير ، وجم غفير ، من أهل التقدم لزمنه وأهل التأخير ، وأهل الفصاحة والجد والتشمير . فأول من سلكها من حيث الإفراد بالتصنيف ، والإيراد والتأليف ، الشيخ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي ، قال الشيخ ابن خلكان في ترجمته : كان إماما في علوم شتى وخصوصا اللغة فإنه أتقنها ، وألف كتابه المجمل في اللغة ، وهو على اختصاره جمع كثيرا ، وله كتاب حلية الفقهاء ، وله رسائل أنيقة ومسائل عميقة ، ويعاني بها الفقهاء . قال : ومنها اقتبس الحريري صاحب المقامات ذلك الأسلوب ، ووضع المسائل الفقهية في المقامة الطبية وهي مائة مسئلة ، وكان مقيما بهمدان ، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات الآتي ذكره إن شاء الله تعالى . هذا كلام ابن خلكان .

وقال الإمام محي الدين النووي في كتابه المجموع الكبير شرح المهذب في باب الآنية منه ، (فرع) : قال صاحب الشامل وغيره من أصحابنا في هذا الموضع : سئل فقيه العرب عن الوضوء من الإناء المعوج ،

يعني المضبب بالعاج فقال : إن صاب الماء تعويجه وإلا فيجوز . والإناء المعوج هو المضبب من عظم الفيل . قال : وهذا صحيح ، والصورة فيما دون القلتين . ثم قال الإمام النووي : وفقيه العرب ليس شخصا بعينه وإنما العلماء يذكرون مسائل فيها ألغاز وملح ينسبونها إلى فقيه العرب .

(قلت) وإلى فقيه العرب المذكور أشار الحريري في المقامة الثانية والثلاثين بقوله : وبينما نحن نختار المناخ ، ونرود الورود النقاخ ، إذ رأيناهم يركضون كأنهم إلى نصب يوفضون ، فرأينا انثيالهم ، وسألنا مابالهم ؟ فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب ، فإهراعهم لهذا السبب ، فقلت لرفقتي : ألا نشهد مجمع الحي ، ليتبين الرشد من الغي ؟ فقالوا : لقد أسمعت إذ دعوت ، ونصحت وما ألويت . ثم نهضنا نتبع الهادي ، ونؤم النادي . حتى إذا ظللنا عليه ، واستشرفنا المنهل إليه . ألفته أبازيد ذا الشفر والبقر والفقر ، والفواقر والفقر . وقد اعتم الفقر واشتمل الصماء ، وقعد القرفصاء ، وأعيان قومي محدقون ، وأخلاطهم عليه ملتفون ، وهو يقول سلوني عن المعضلات ، واستوضحوا مني المشكلات ، فو الذي فطر السماء ، وعلم آدم الأسماء ، إني لفقيه العرب العرباء ، وأعلم من تحت الجرباء ، فصمد له فتى فتيق اللسان ، جري الجنان ، وقال : إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انحلت منهم مائة فتيا ، فإن كنت ممن يرى بنات غير ، ويرغب منا في مير . فاسمع وأجب لتقابل بما تحب ؟ فقال : الله أكبر ، سيبين المخبر ، وينكشف المضمر ، فاصدع بما تؤمر . ثم ابتدأ في مسائله ، التي تبرد للسامع غلائله ، وتطفئ بوابلها مايجد من بلابله ، وتعي بأعيائها مجادله ،

ومائله وهائله ، حتى أكمل المائة الفتيا ، في كل فن من فنون الدين والدنيا .

ولنرجع إلى تمام مانقلناه من المجموع من شرح المهذب فنقول : ثم قال الإمام النووي : وصنف أبوالحسن بن فارس يعني المتقدم ذكره كتابا سماه (فتيا فقيه العرب) ذكر فيه هذه المسئلة . ثم قال وأنشد ألغازا منها ؛ (فرع) : يجوز الإيقاد بعظم الميتة غير الآدمي تحت القدور وفي التنانير وغيرها ، صرح به صاحب الحاوي والجرجاني في كتابيه : التحرير والبلغة ، والروياني وغيرهم . هذا مانقلناه من مجموع النووي الذي هو شرح المهذب في الإشارة إلى ذكر الشيخ بن فارس .

ولنرجع إلى تمام كلام الإمام ابن خلكان في ترجمة بن فارس المذكور ، قال وله أشعار جيدة ، منها قوله :

مرت بنا هيفاء مجدولة   تركية تنمي لـــــتركي
ترمي بطرف فاتر فاتن   أضعف من حجة نحوي

وله أيضا :

اسمع مقالة ناصـــح   جمع النصيحة والمقه
إياك وأحذر أن تبيق   من الثقاة بلا ثقـة

وله أيضا :

إذ كنت في حاجة مرسل   وأنت بها كلف مـغرم
فأرسل حكيما لاتوصـــه   وذاك الحكيم هو الدرهم

وله أيضا :

سقى همدان إن الغيث لست سوى زاد في الأحشاء نارا تضرم بقائل
ومالي لا أصفو الدعاء لبلدة أقدت بها نسيان ماكنت أعلم
نسيت الذي أحسنته غير أنني مدين ومافي جوف بيتي درهم

وله أشعار كثيرة حسنة ، توفي سنة تسعين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى بالري ، ودفن مقابلا مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وقيل أنه توفي في صفر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة بالمحمدية ، والأول أشهر .

ثم قال ابن خلكان : والرازي بفتح الراء وبعد الألف زاي هذه النسبة إلى الري ، وهي من مشاهير بلاد الديلم ، والزاي زائدة كما زيدت في المروزي عند النسبة إلى مرو بالمشاهات . ومن شعره أيضا :

وقالوا كيف حالك قلت خيراً أتقضي حاجتي وتفوت حاج
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا عسى يوما يكون لها انفراج
نديمي هزني وأنيس نفسي دفاتر لي ومعشوقي السراج

(فائدة أخرى) هذه ترجمة بديع الزمان المشار إليه في قول الحريري في مقاماته حيث يقول : وبعد فإنه قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه ، وخبت مصابيحه . ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان ، وعلامة همدان ، رحمه الله تعالى ، وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها ، وإلى عيسى بن هشام روايتها ، وكلاهما مجهول لايعرف ، ونكرة لاتتعرف . فأشار علي من إشارته حكم ، وطاعته غنم ،

إلى أن أنشئ مقامات أتلوا فيها تلوالبديع ، وإن لم يدرك الظالع شاوالضليع . ثم قال في موضع آخر من الخطبة : هذا مع علمي أن البديع رحمه الله سباق غايات ، وصاحب آيات ، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أعطي بلاغة قدامة ؛ لايغترف إلا من فضالته ، ولايسري ذلك المسرى إلا بدلالته .

قال ابن خلكان في تاريخه المسمى (وفيات الأعيان) هو أبو الفضل احمد بن الحسين ابن يحيى بن سعد الهمداني ، المعروف ببديع الزمان . صاحب الرسائل الرائقة ، والمقامات الفائقة . وعلى منواله نسج الحريري مقاماته ، وحذى حذوه ، واقتفى خطوه . واعترف في خطبته بفضله ، وأنه هو الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج ، وهو أحد الفضلاء الفقهاء . وروى عن أبي الحسين احمد بن فارس صاحب الجمل في اللغة المتقدم ذكره قريبا وعن غيره . وله الرسائل البديعة والنظم المليح ، وسكن هراه من بلاد خراسان . فمن رسائله : الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه تحرك نتنه ، وكذلك الضيف يسمج لقاه ، إذا طال ثواه ، ويثقل ظله إذا انتهى إلى محله . والسلام .

ومن رسائله : حضرته التي هي كعبة المحتاج لاكعبة الحاج ، ومشعر الحرام لا المشعر الحرام ، ومنى الضيف لامنى الخيف ، وقبلة الصلاة لاقبلة الصلاة . وله من تعزية الموت (قال فيها) : خطب قد عظم حتى هان ، ومس خشن حتى لان . والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وخبثت حتى صار الفوت أصغر ذنوبها . فانظر

يمنة هل ترى إلا محنة ، ثم انظر ميسرة هل ترى إلا حسرة . ومن شعره من جملة قصيدة طويلة :

فكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس طالعة والليث لو لم يصد والبحر لوعذبا

ثم قال ابن خلكان : ومن شعره في ذم همدان ثم وجدتهما لأبي العلا محمد بن حسوك الهمداني :

همدان لي بلد أقول بفضله لكنه من أقبح البلدان
صبيانه في القبح مثل شيوخه وشيوخه في العقل كالصبيان

وله معنى مليح من نظم ونثر ، وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة بمدينة هراه ، رحمه الله تعالى .

(فائدة) قولهم في الألغاز جمع لغز ؛ بضم اللام وفتح الغين ، مثل رطب وأرطاب . ويقال : ألغز في كلامه إذا غم مراده ، والإسم اللغز .

(خاتمة) لهذه الفصول المحكمة ، والنقول الملائمة ، لحجة المقامات القائمة ، ولله الحجة البالغة ، ولو شاء لهداكم أجمعين عامة ، فنسأله بمحمد الأمين حسن الخاتمة . نذكر فيها كلمات من عيون كلمات المقامات ، على ترتيب المقامات . ونبدأ بالخطبة لما فيها من الدعاء بصالح الدعوات ، ولأنها كالعضد ، والشاهد الذي لايرد ، ولأنها من السر المكنون والبر المخزون ، وفي حفظها فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم ، عينا يشرب بها المقربون ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن**

هؤلاء لضالون * وما أرسلوا عليهم حافظين * ﴾ [الآيات ٢٩ – ٣٣ المطففين] **﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ﴾**ولهذا سميتها : (**مقدمة صدقة نجوى أهل المقامات السرية ، ومقدمة صبر أهل اللقاء في جيش المقامات الحريرية**) . فافهم علم العلامات ، تحظى بالسلامات والكرامات . والسلام .

قال الشيخ الريئس الإمام أبو محمد القاسم بن علي الحريري أدام الله توفيقه في الخطبة :

اللهم إنانحمدك على ماعلمت من البيان ، وألهمت من التبيان ، كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء ، وأسبلت من الغطاء ، ونعوذبك من شر اللسن وفضول الهذر ، كما نعوذبك من معرة اللكز وفضوح الحصر ، ونستكفي بك الإفتنان بإطراء المادح ، وإغضاء المسامح ، كما نستكفي بك الإنتصاب لإزراء القادح ، وهتك الفاضح . ونستغفرك من سوق الشهوات إلى سوق الهفوات ، كما نستغفرك من نقل الخطوات إلى خطط الخطيئات . ونستوهب منك توفيقا قائدا إلى الرشد ، وقلبا متقلبا مع الحق ، ولسانا متحليا بالصدق . ونطقا مؤيدا بالحجة ، وإصابة ذائدة من الزيغ ، وعزيمة قاهرة هوى النفس ، وبصيرة ندرك بها عرفان القدر ، وأن تسعدنا بالهداية إلى الدراية ، وتعضدنا بالإعانة على الإبانة ، وتعصمنا من الغواية في الرواية ، وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة ، حتى نأمن حصائد الألسنة ، ونكفى غوائل الزخرفة ، فلا نورد مورد مأثمة ، ولانقف موقف مندمة ، ولانرهق بمتعبة ولامعتبة ، ولانلجأ إلى معذرة من بادرة . اللهم

فحقق هذه الأمنية ، وأنلنا هذه البغية ، ولاتضحنا عن ظلك السابغ ، ولاتجعلنا مضغة للماضغ ، فقد مددنا إليك يد المسألة ، وبخعنا بالإستكانة لك والمسكنة ، واستنزلنا كرمك الجم ، ومنك الذي عم ، بضراعة الطلب وبضاعة الأمل ، ثم التوسل بمحمد سيد البشر ، والشفيع المشفع في المحشر ، الذي ختمت به النبيين ، وأعليت درجته في عليين ، ووصفته في كتابك المبين ، فقلت وأنت أصدق القائلين ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين ، وأصحابه الذين شادوا الدين ، واجعلنا لهديه وهديهم متبعين ، وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين ، إنك على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

وبعد : فإنه جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه ، وخبت مصابيحه ، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان ، وعلامة همدان ، رحمه الله تعالى ، وعزى إلى أبي الفتح الأسكندري نشأتها ، وإلى عيسى بن هشام البصري روايتها ، وكلاهما مجهول لايعرف ، ونكرة لاتتعرف ، فأشار علي من إشارته حكم ، وطاعته غنم أن أنشيء مقامات أتلوا فيها تلوالبديع ، وإن لم يدرك الظالع شاو الضليع ،

(حاشية : من أقل الملا علي بن حسن العطاس ، قوله : الظالع من الركة وقيل الذي يغمز في مشيته ، وهي بالظاء المشاركة ، والضليع من القوة وهو بالضاد) . وفي النسخة الأم الظالع أيضا : المائل عن الطريق القويم ، والضليع السمين القوي ، والضلاعة قوة الأضلاع .

فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ، ونظم بيتا أوبيتين ، واستنقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم ، ويفرط الوهم ، ويسبر غور العقل ، وتتبين قيمة المرء في الفضل . ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل ، أوجالب رجل وخيل ، وقَلَّماسلم مكثار ، أوأقيل له عثار ، فلما لم يسعف بالإقالة ، ولا أعفا عن المقالة ، لبيت دعوته تلبية المطيع ، وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع . وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة ، ورؤية ناضبة ، وهموم ناصبة ، خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان وررره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ماوشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجي النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب المحبرة ، والمواعظ المبكية ، والأضاحيك الملهية ، مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي ، وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري . وماقصدت بالإحماض فيه ، إلا تنشيط قاريه ، وتكثير سواد طالبيه . ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست عليهما المقامة الحلوانية ، وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية . وماعدى ذلك فخاطري أبوعذره ، ومقتضب حلوه ومره . هذا مع إعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات ، وصاحب آيات ، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتي بلاغة قدامة ؛ لايغترف من فضالته ، ولايسري ذلك المسرى إلا بدلالته ، ولله در القائل :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضـــــل للمتقدم

وأرجو أن لاأكون في هذا الهذر الذي أوردته ، والمورد الذي توردته ، كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه ، فألحق بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، على أني وأن أغمض لي الفطن المتغابي ، ونضح عني المحب المحابي ، لا أكاد أخلص من غمر جاهل ، وذي غمر متجاهل ، يضع مني هذا الوضع ، ويندد أنه من مناهي الشرع . ومن نقد الأشياء بغير المعقول ، وأنعم النظر في مباني الأصول . نظم هذه المقامات في سلك الإفادات ، وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات . ولم يسمع بمن نبأ سمعه عن الحكايات ، أو أثم رواتها في وقت من الأوقات . ثم إذا كانت الأعمال بالنيات ، وبها إنعقاد العقود الدينيات ، فأي حرج على من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ، ونحا بها منحا التهذيب لا الأكاذيب ، وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب لتعليم ، أوهدى إلى صراط مستقيم ، شعراً :

على أنني راض بان أحمل الهوى وأخلص منه لا عليَّ ولاليا

وبالله أعتضد فيما أعتمد ، وأعتصم مما يصم ، واسترشد إلى مايرشد . فما المفزع إلا إليه ، ولا الإستعانة إلا به ، ولا التوفيق إلا منه ، ولا الموئل إلا هو ، عليه توكلت وإليه أنيب ؛ وبه نستعين وهو نعم المعين .

﴿ الفائدة الأولى ﴾

من المقامة الأولى التي هي التي تعرف بالصنعانية فاسمعها على نية في السر والعلانية . قال فيها : أيها السادر في غلوائه ، السادل ثوب خيلائه ، الجامح في جهلاته ، الجانح إلى خزعبلاته . إلام تستمر على غيك ، وتستمري مرعى بغيك ، وحتى م تتناهى في زهوك ؛ ولاتنتهي عن لهوك . تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك ، وتجتريء بقبح سيرتك على عالم سريرتك . وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك . وتستخفي من مملوكك ، وماتخفى خافية على مليكك ، أتظن أن ستنفعك حالك ، إذا حان آن إرتحالك ؟ أوينقذك مالك حين توبقك أعمالك ؟ أوينصرك آلك إذا قصرت من الحياة آمالك ، أويغني عنك ندمك إذا زلت بك قدمك ، أويعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك . هلا انتهجت محجة إهتدائك ، وعجلت معالجة دائك ، وفللت شباة اعتدائك ، وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك . أما الحمام ميعادك فما إعدادك ؛ وبالمشيب إنذارك فما أعذارك ! وفي اللحد مقيلك فما قيلك ! وإلى الله مصيرك فمن نصيرك ؟ طالما أيقظك الدهر فتناعست ، وجذبك الوعظ فتقاعست ، وتجلت لك العبر فتعاميت ، وحصحص لك الحق فتماريت ، وأذكرك الموت فتناسيت ، وأمكنك أن تؤاسي فما آسيت بل أسيت ، تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه ، وتختار قصرا تعليه على بر توليه ، وترغب عن هاد تستهديه إلى زاد تستهديه ، وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه . يواقيت

الصلاة أغلق بقلبك من مواقيت الصلاة ، ومغالات الصدقات آثر عندك من موالات الصدقات ، وصحاف الألوان أشهى إليك من صحائف الأديان ، ودعابة الأقران آنس لك من تلاوة القرآن ، تأمر بالعرف وتنتهك حماه ، وتحمي عن النكر ولاتتحاماه ، وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، ثم أنشد يقول شعراً :

تبا لطالبي دنيا ثنا إليها انصبابه
مايستفيق غراما بها وفرط صبابه
ولودرى لكفاه مما يروم صبابه

شعر آخر :

لبست الخميصة أبغي الخبيصة وأنشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي أحبولة أزيغ القنيص بها والقنيصه
وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف إحتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه ولانبضت لي منه فريصه
ولاشرعت بي على مورد يدنس عرضي فنفسي حريصه
ولو أنصف الدهر في حكمه لما ملك الحكم أهل النقيصه

﴿الفائدة الثانية﴾

من المقامة الثانية التي تعرف بالحلوانية . قال فيها : حكى الحارث بن همام قال : كلفت مذ ميطت عني التمائم ، ونيطت بي العمائم . بأن أغشى معان الأدب ، وأنضي إليه ركاب الطلب . لأعلق منه بما يكون لي

زينة بين الأنام ، ومزنة عند الأوام . وكنت لفرط اللهج باقتباسه ، والطمع في تقمص لباسه . أباحث كل من جل وقل ، وأستسقي الوبل والطل ، وأتعلل بعسى ولعل . فلما حللت حلوان ، وقد بلوت الإخوان ، وسبرت الأوزان ، وخبرت ماشان وزان . ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب في قوالب الإنتساب ، ويخبط في أساليب الإكتساب .

وقال فيها : ياروواة القريض ، وأساة القول المريض . إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ، ويد الحق تصدع رداء الشك . وقد قيل فيما غبر من الزمان ، عند الإمتحان يكرم الرجل أويهان . وها أنذا قد عرضت خبيئتي على الإعتبار . فابتدرأحد من حضر۔ وقال : أعرف بيتا لم ينسج على منواله ، ولاسمحت قريحة بمثاله . فإن آثرت اختلاب القلوب ؛ فانظم على هذا الأسلوب . وأنشد :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن إلا كلمح البصر أوهو أقرب ، حتى أنشد فأغرب :

سألتها حين زارت نضو برقعهاالـ ـقاني وإيداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته ، واعترفوا بنزاهته . فلما آنس استئناسهم بكلامه ، وانصبابهم إلى شعب إكرامه . أطرق كطرفة عين ؛ ثم قال : ودونكم بيتين آخرين وأنشد :

وأقبلت يوم حد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صـبح أقلهما غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته ، واستغزروا ديمته . وأجملوا عشرته .

﴿ الفائدة الثالثة ﴾

من المقامة الثالثة التي تعرف بالدينارية ، وهي في ألغازها الأفكارية كالمسئلة الخمارية ، قال فيها : وقف بنا شخص عليه سَمَلٌ ، وفي مشيته قَزَل ، فقال : يا أخاير الذخائر ، وبشائر العشائر . عموا صباحا وأنعموا اصطباحا ، وأنظروا إلى من كان ذا ندي وندى ، وجدة وجدا ، وعقار وقُرى ومقار وقِرى ، فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب ، وشرر شر الحسود ؛ وانتياب النوب السود ، حتى صفرت الراحة ؛ وفرغة الساحة . وغار المنبع ؛ ونبا المنبع ، وأقوى المجمع ، وأقض المضجع . واستحالت الحال وأعول العيال ، وخلت المرابط ورحم الغابط . وأودى الناطق والصامت ؛ ورثى لنا الحاسد والشامت ، وآل بنا الدهر الموقع ؛ والفقر المدقع ، إلى أن احتذينا الوجى ؛ واغتذينا الشجا ، واستبطنا الجوى ؛ وطوينا الأحشاء على الطوى . واكتحلنا السهاد ؛ واستوطأنا القتاد ؛ وتناسينا الأقتاد الوهاد ، واستطبنا الحين المجتاح ، واستبطأنا اليوم المتاح . فهل من حر آس ؛ أوسمح مؤاس ، فوالذي استخرجني من قيله ؛ لقد أمسيت أخا عيله ، لا أملك بيت ليلة . قال الحارث بن همام : فأويت لمفاقره ؛ ولويت إلى استنباط فقره ، فأبرزت دينارا ؛ وقلت له إختيارا : إن مدحته نظما ؛ فهو لك حتما . فانبرى ينشد في الحال ؛ من غير انتحال ،ثم أورد من الشعر ماقال ؛ وهي أبيات طوال .

ثم قال الحارث بن همام : فناجاني قلبي بأنه أبوزيد ؛ وإن تعارُجه لكيد ، فاستعدته وقلت له : قد عُرفت بوشيك ؛ فاستقم في مشيك ، فقال : إن كنت ابن همام ؛ فحييت بإكرام وحييت بين كرام ، فقلت أنا الحارث ؛ فكيف حالك والحوادث ؟ فقال : أتقلب في الحالين بؤس ورَخاء ؛ وأنقلب مع الريحين زعزع ورُخاء . فقلت : كيف أدعيت القزل ؛ ومامثلك من هزل ، فاستسر بشرُهُ الذي كان تجلى ؛ ثم أنشد حين ولى :

تعارجت لارغبة في العــرج ولكن لأقرع باب الفـــــرج
وألقي حبلي على غـــــاربي وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني القوم قلت أعذروا فليس على أعرج من حرج

﴿ الفائدة الرابعة ﴾

مـن المقامـة الرابعـة ؛ الـتي تعـرف بالدمياطيـة ، ذات المعـاني الإستنباطية ، والمباني الإحاطية ، قال في أثنائها :

سمعت صيتا من الرجال ؛ يقول لسميره في الرحال : كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك ؟ فقال : أرعى الجار ولوجار . وأبذل الوصال لمن صال ، وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط . وأود الحميم ولو جرعني الحميم ، وأفضل الشفيق على الشقيق . وأفي للعشير وإن لم يكافئ بالعشير . وأستقل الجزيل للنزيل ، وأغمر الزميل بالجميل . وأنزل سميري منزلة أميري ، وأحل أنيسي محل رئيسي ، وأودع معارفي عوارفي ، وأولي

مرافقي مرافقي ، وألين مقالي للقالي ، وأديم تسالي عن السالي ، وأرضى من الوفاء باللقاء ، وأقنع من الأجزاء بأقل الأجزاء ، ولا أتظلم حين أظلم ، ولا أنقم ولو لدغني الأرقم . فقال له صاحبه : ويك يابني إنما يضن بالضنين ، وينافس في الثمين . لكن أنا لاآتي غير المؤاتي ؛ ولا أسم العاتي بمراعاتي . ولا أصافي من يأبى إنصافي ، ولا أواخي من يلغي الأواخي . ولا أمالي من يخيب آمالي ، ولا أبالي بمن صرم حبالي . ولا أداري من جهل مقداري ، ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي . ولا أبذل ودادي لأضدادي ، ولا أدع إيعادي للمعادي . ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي . ولا أسمح لمؤاساتي لمن يفرح بمساءاتي . ولا أرى إلتفاتي إلى من يشمت بوفاتي . ولا أخص بحبائي إلا أحبائي . ولا أستطب لدائي غير أودائي . ولا أملك خُلتي من لايسد خَلتي . ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي . ولا أخلص دعائي لمن لايفعم وعائي . ولا أفرغ ثنائي على من يفرّغ إنائي . ومن حكم بأن أبذل وتخزن ، وألين وتخشن ، وأذوب وتجمد ، وأذكو وتخمد . لا والله بل نتوازن في المقال وزن المثقال . ونتحاذى في الفعال حذو النعال . حتى نأمن التغابن ونكفى التضاغن . وإلا فلم أعلك وتعلني ، وأقلك وتستقلني ، وأجترح لك وتجرحني ، وأسرح إليك وتسرحني . وكيف يجتلب إنصاف بضيم ، وأنى تشرق شمس مع غيم . ومتى اصطحب ود بعسف ، وأي حر رضي بخُطة خسف . ولله أبوك حيث يقول شعراً :

جزيت من أعلق بي وده جزاء من يبني على أسه
وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل أوبخسه

ولم أخسره وشر الـــــورى   من يومـــــه أخسر من أمسه
وكل من يطلب عنـــدي جنى   فماله إلا جـــــــنى غرسه
لا أبتغي الغبن ولا أثنـــــني   بصفقة المغـــــبون في حسه
ولست بالموجب حقـــا لمن   لايوجب الحـــــق على نفسه
ورب مذاق الهـــوى خالني   أصدقه الـــــود على لبسه
ومادرى من جهله أنــــــني   أقضي غريمي الـــدين من جنسه
فأهجـــر من استغباك هجر القلى   وهبـــــه كالملحود في رمسه
وألبس لمن في وصـــــله لبسة   لباس مــــن يرغب عن أنسه
ولاترج الــــــود ممن يرى   أنك محتـــــــاج إلى فلسه

﴿ الفائدة الخامسة ﴾

من المقامة الخامسة التي تعرف بالكوفية ، ذات المعاني الوفية . حكى الحارث بن همام قال : سمرت بالكوفة في ليلة أديمها ذو لونين ، وقمرها كتعويذ من لجين ، مع رفقة غذوا بلبان البيان ؛ وسحبوا على سحبان ذيل النسيان . مافيهم إلا من يحفظ عنه ولايتحفظ منه . ويميل الرفيق إليه ولايميل عنه . فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر .

ثم قال : فرب أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل . وشر الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف . خصوصا أذى يعتلق بالأجسام ؛ ويفضي إلى الأسقام . وماقيل في المثل الذي سار سائره ؛ خير العشاء

سوافره ، إلا ليعجل التعشي ؛ ويجتنب أكل الليل الذي يعشي . اللهم إلا أن تقد نار الجوع ، وتحول دون الهجوع . ثم أنشأ يقول :

يامن يظن السراب مـــاء … لما رويت الـــــذي رويت
ماخلت أن يستسر مكري … وأن يخيل الـــذي عنيت
والله مابرة بعــــــرسي … ولا لي ابن به اكتـــنيت
وإنما لي فنون سحــــــر … أبدعت فيها وما اقـــتديت
لم يحكها الأصمـــعي فيما … حكى ولاحاكها الكمـــيت
تخذتها وصلة إلى مــــا … تجنيه كـــفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحـــــالت … حالي ولم أحـــو ما حويت
فمهد العذر أوفسامـــح … إن كنت أجرمت أوجنيت

﴿ الفائدة السادسة ﴾

من المقامة السادسة التي تسمى الخيفاء ، وهي التي حازت من الفصاحة الحظ الأوفى . (وفي النسخة الأم : المراغية) قال فيها :

وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية ؛ عند مواقف الحاشية . فكان كلما شط القوم في شوطهم ؛ ونثرو العجوة والنجوة من نوطهم . ينبئ تخازر طرفه وتشامخ أنفه ، أنه مخرنبق لينباع ، ومجرمز سيمد الباع . ونابض يبري النبال ، ورابض يبغي النضال . فلما نثلت الكنائن ، وفاءت السكائن ، وركدت الزعازع ، وكف المنازع . وسكنت الزماجر ، وسكت المزجور والزاجر . أقبل على الجماعة وقال : لقد جئيتم شيئا إدا ، وجرتم

عن القصد جدا . وعظمتم العظام الرفات ، وأفنتم في الميل إلى من فات . وغمضتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ، ومعهم انعقدت المودات . أنسيتم ياجهابذة النقد ؛ وموابذة الحل والعقد ، ما أبرزته طوارف القرائح ، وبرَّز فيه الجذع على القارح . من العبارات المهذبة ، والإستعارات المستعذبة . والرسائل الموشحة ، والأساجيع المستملحة ؟ وهل للقدماء إذا أنعم النظر من حضر ؛ غير المعاني المطروقة الموارد ، المعقولة الشوارد . المأثورة عنهم لتقادم الموالد ، لا لتقدم الصادر على الوارد . وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ وشى ، وإذا عبر حبر . وإن أسهب اذهب ، وإذا أوجز أعجز . وإن بَدَه شده . ومتى اخترع خرع . فقال له ناظورة الديوان ؛ وعين أولئك الأعيان : من قارع هذه الصفاة ؟ وقريع هذه الصفات ؟ فقال : إنه قرن مجالك وقرين جدالك . وإذا شئت ذاك فَرُضْ نجيبا ، وادع مجيبا لترى عجيبا . فقال له : ياهذا إن البغاث بأرضنا لايستنسر ، والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر . وقل من استهدف للنضال ؛ فخلص من الداء العضال . أواستسار نقع الإمتحان ؛ فلم يقذ بالإمتهان . فلا تعرض عرضك للمفاضح ، ولا تعرض عن نصاحة الناصح . فقال : كل امريء أعرف بوسم قدحه ؛ وسيتفرى الليل عن صبحه .

ثم قال فيها : فلما فرغ من إملاء رسالته ، وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته . أرضته الجماعة فعلا وقولا ، وأوسعته حفاوة وطولا . ثم سئل من أي الشعوب نجاره ؟ وفي أي الشعاب وجاره ؟ فقال :

غسان أسرتي الصميمة ... وسروج تربتي القديمة

فالبيت مثل الشمس إشـ ـراقا ومنزلة جسـيمة
والربع كالفردوس مطيـ ـبة ومنـزهة وقيمـة
واهـا لعـيش كان لي فيها ولـذات عميمة
أيام أسحب مطـرفي في روضها مـاضي العزيمة
أختال في برد الشـبا ب وأجتلي النعم الوسيمة
لا أتقي نوب الـزما ن ولا حـوادثه المليمة
فلو أن كـربا متلف لتلفت من كـربي المقيمة
أويفتدي عيـش مضى لفدته مهجـتي الكريمة
فالموت خـير للفتى من عيشه عيـش البهيمة
تقتاده برة الصـغا ر إلى العظـيمة والهضيمة
ويرى السباع تـنوشها أيدي الضباع المستضيمه
والذنب للأيـام لـو لا شـؤمها لم نذب شيمة
ولو استقامت كانت الأ حوال فـيها مستقيمة

ثم قال فيها أيضا شعراً :

لجوب البـلاد مع المتربة أحب إلي من الـمرتبـه
لأن الولاة لهم نـبوة ومعتبة يا لها معتـبه
ومافيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد مارتبـه
فلايخدعنك لموع السراب ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلـمه وأدركه الروع لما انتبه

﴿ الفائدة السابعة ﴾

من المقامة السابعة التي تعرف بالبر قعيدية ، التي كأنها الحلة السعيدية ، والمائدة العيدية ، والهمة الجعيدية . قال في أثنائها ؛ شعرا من أفنانها :

لقد أصبحت موقوذا بأوجاع وأوجال
وممنوا بمختال ومحتال ومغتال
وخوان من الإخوا ن قالٍ لي لإقلالي
وإعمال من العما ل في تضليع أعمالي
فكم أصلي بأذخال وإمحال وترحال
وكم أخطر في بال ولا أخطر في بال
فليت الدهر لما جا ر أطفا لي أطفالي
فلولا أن أشبا لي أغلالي وأعلالي
لما جهزت آمالي إلى آلٍ ولا والي
ولاجررت أذيالي على مسحب إذلالي
فمحرابي أحري بي وأسمالي أسمى لي
فهل حر يرى تخفـ يف أثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي بسربال وسروال

ثم قال بعد ذلك شعراً :

لم يبق صاف ولامصاف ولامَعين ولامُعين

وفي المساوي بدا التساوي فلا أمين ولاثمـين

ثم قال فيها : وسألته مادعاك إلى التعامي مع سيرك في المعامي ؛ وجوبك الموامي وإيغالك في المرامي ؟ فتظاهر باللكنة ؛ وتشاغل باللهنة ، حتى إذا قضى وطره ؛ أثار إلي نظره ، وأنشد :

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد في أنحائه ومقاصـــده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ولاغرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي : انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف ؛ وينقي الكف ، وينعم البشرة ، ويعطر النكهة ، ويشد اللثة ، ويقوي المعدة . وليكن نظيف الظرف ؛ أريج العرف ، فتي الدق ؛ ناعم السحق . يحسبه اللامس ذرورا ، ويخاله الناشق كافورا . وأقرن بها خلالة نقية الأصل ، محبوبة الوصل ، أنيقة الشكل ، مدعاة للآكل . لها نحافة الصب ، وصقالة العضب ، وآلة الحرب ، ولدونة الغصن الرطب . قال : فنهضت فيما أمر ، لأدرأ عنه الغمر . ولم أهم إلى أنه قصد أن يخدع ؛ بإدخالي المخدع . ولاتظنيت أنه سخر من الرسول ؛ في استدعاء الخلالة والغسول . فلما عدت بالملتمس ؛ في أقرب من رجع النفس ، وجدت الجو خلا ، والشيخ والشيخة قد أجفلا ، فاستشطت من مكره غضبا ، وأوغلت في إثره طلبا . فكان كمن قبس في الماء ، أوعرج به إلى عنان السماء .

﴿ الفائدة الثامنة ﴾

وهي من المقامة الثامنة المسامة : بالمعرية ، ذات المعاني السرية ، والمباني الأمرية . قال أولها : أخبر الحارث بن همام قال : رأيت من عجائب الزمان ، أن تقدم خصمان إلى قاضي معرة النعمان . أحدهما قد ذهب منه الأطيبان ، والآخر كأنه قضيب البان . ثم قال فيها شعراً :

أنا السروجي وهذا ولـــدي والشبل في المخبر مثل الأسد
وماتعـدت يده ولا يـــدي في إبرة يومـــــاولا في مرود
وإنما الدهر المسيئ المعتدي مال بنا حتى غـــدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد وكل جعد الكف معـلول اليد
بكل فن وبكل مقصـــــد بالجد إن أجدى وإلا بالـــدد
لنجلب الرشح إلى الحظ الصدي وننفد العمـــــر بعيش أنكـد
والموت من بعد لنا بالمرصـد إن لم يفاج اليوم فاجأ في غـد

﴿ الفائدة التاسعة ﴾

مـن المقامـة التاسـعة الـتي تعـرف بالإسـكندرية ، ذات البضـائع البندرية ، والصنائع الإسكندرية . قال فيها من أشعاره الأدبية الجوهرية :

إسمع حـديثي فإنـــــه عجب يضحك من شــرحه وينتحب
أنا امرؤ ليس في خصـائصـه عيب ولا في فخـــــاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حـين أنتسب

وشغلي الدرس والتبحر في الـ ـعلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأخـ ـتار اللآلي منها وأنتخب
وأجتني اليانع الجني من الـ ـقول وغيري للعود يحتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نَشَباً بالأدب المقتنى وأحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصِّلات إلى ربعي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب
لاعرض أبنائه يصان ولا يُر قب فيهم إلٌّ ولانسب
كأنهم في عراصهم جيف ويبـ ـعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق يدي وسـ ـاوتني الهموم والكرب
وقادني دهري الملم إلى سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي سبد ولا بتات إليه أنقلب
وأدنت حتى أثقلت سالفتي بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على سغب خمسا فلما أمضني السغب
لم أر إلا جهازها عرضا أجول في بيعه وأضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب
وماتجاوزت إذ عبثت به حد التراضي فيحدث الغضب

فإن يكن غاظها توهـــــمها أن بنـــاني بالنظم تكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبـــتها زخرفت قـولي لينجح الأرب
فو الذي سارت الرفـاق إلى كعبـــــته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمـويه والكذب
ولايدي مذ نشأت نيـط بها إلا مواضي الـــيراع والكتب
سل فكرتي تنظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب
فهذه الحرفة المشار إلى مـا كنت أحـــوي بها واجتلب
فأذن لشرجي كما أذنت لـها ولا تراقب واحـــكم بما يجب

﴿ الفائدة العاشرة ﴾

من المقامة العاشرة ، التي تعرف بالرحبية ، ذات الألفاظ الشجية . قال أولها : حكى الحارث بن همام قال : هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن طوق . فلبيته ممتطيا شملة ؛ ومنتضبا عزمة مشمعلة . فلما ألقيت بها المراسي ؛ وشددت أمراسي ، وبرزت من الحمام بعد سبت رأسي . رأيت غلاما أفرغ في قالب الجمال ، وألبس من الحسن حلة الكمال . وقد اعتلق شيخ بردنه ، يدعي أنه فتك بإبنه ، والغلام ينكر عرفته ويكبر فرقته ، والخصام بينهما متطاير الشرار .

ثم قال فيها : فقضيت الليلة معه في سمر ، آنق من حديقة زهر ؛ وخميلة شجر . حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان ، وآن إنبلاج الفجر وحان ، ركب متن الطريق ؛ وأذاق الوالي عذاب الحريق .

﴿ الفائدة الحادية عشر ﴾

من المقامة الحادية عشر التي تعرف بالساوية ، ذات المواعظ القيساوية ، التي تلين القلوب القساوية . قال فيها شعراً :

أيا من يدعي الفهم — إلى كم يا أخا الوهم
تعبي الذنب والذم — وتخطي الخطأ الجم
أما بان لك العيب — أما أنذرك الشيب
وما في نصحه ريب — ولاسمعك قد صم
أما نادى بك الموت — أما أسمعك الصوت
أما تخشى من الفوت — فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو — وتختال من الزهو
وتنصب إلى اللهو — كأن الموت ماعم
وحتى م تجافيك — وإبطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك — عيوبا شملها انضم
إذا أسخطت مولاك — فما تقلق من ذاك
وإن أخفق مسعاك — تلظيت من الهم
وإن لاح لك النقش — من الأصفر تهتش
وإن مر بك النعش — تغاممت ولاغم
تعاصي الناصح البرا — وتعتاص وتزورا
وتنقاد لمن غرا — ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس　　وتحتال على الفـلس
وتنسى ظلمة الرمس　　ولاتذكـــــــر ماثم
ولو لاحظك الحـظ　　لما طاح بك اللحـظ
ولا كنت إذا الوعظ　　جلا الأحــزان تغتم
ستذري الدم لا الدمع　　إذا عاينت لاجـــمع
يقي في عرصة الجمع　　ولا خـــــال ولاعم
كأني بك تنحــــط　　إلى اللحد وتنغــــط
وقد أسلمك الرهـط　　إلى أضيق مــن سم
هناك الجسم ممدود　　ليستأكله الـــــدود
إلى أن ينخر العـود　　ويمسي العظم قـد رم
ومن بعد فلا بــــد　　من العرض إذا اعتد
صراط جسره مـــد　　على النار لمـــــن أم
فكم من مرشد ضـل　　ومن ذي عـــزة ذل
وكم من عـــــالم زل　　وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغُـــمر　　لما يحلو به المــــــر
فقد كاد يهي العـمر　　وما أقلعت عــن ذم
ولاتركن إلى الدهـر　　وإن لان وإن ســـر
فتلفى كمن اغــــتر　　بأفعى تنفث الســم
وخفض من تراقيـك　　فإن المـوت لاقيـك
وسار في تـراقيـك　　ومااينكل إن هـــــم

وجانب صعر الخـد   إذا ساعدك الجَـــد
وزم اللفظ إن نـــد   فما أسعد مـــن زم
ونفس عن أخي البث   وصـــــدقه إذا نث
ورم العمل الـــرث   فقد أفلـــح من رم
ورش من ريشه انحص   بما عم ومــــا خصَّ
ولاتأس على النقصَ   ولا تحرص على اللم
وعاد الخُلق الـــرذلُ   وعود كفك البـــذلُ
ولاتستمع العـــذلُ   ونزهها عن الضـــمُ
وزود نفسك الخير   ودع مايقرب الضير
وهيئ مركب السـير   وخف من لجة اليم
بذا أوصيت ياصاح   وقد بحت كمن باح
فطوبى لفـتى راح   بآدابي يـــــأتم

﴿ الفائدة الثانية عشر ﴾

من المقامة الثانية عشر ، التي تعرف بالدمشقية ، ذات المعاني والأشواق الذوقية ، والأذواق البرقية ، والأطواق الحقية . قال فيها :

ليقرأ كل منكم أم القرآن ، كلما أظل الملوان . ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع : اللهم يامحيي الرفات ، ويادافع الآفات ، وياواقي المخافات ، وياكريم المكافاة ، ياموئل العفاة ، وياولي العفو والمعافاة . صل على محمد خاتم أنبيائك ، ومبلغ أنبائك . وعلى مصابيح أسرته ، ومفاتيح نصرته ،

وأعذني من نزغات الشياطين ، ونزوات السلاطين ، وإعنات الباغين ، ومعاناة الطاغين ، ومعاداة العادين ، وعدوان المعادين ، وغلب الغالبين ، وسلب السالبين ، وحيل المحتالين ، وغيل المغتالين . وأجرني اللهم من جور المجاورين ، ومجاورة الجائرين ، وكف عني أكف الضائمين ، وأخرجني من ظلمات الظالمين ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين . اللهم حطني في تربتي ، وغربتي ، وغيبتي ، وأوبتي ، ونجعتي ، ورجعتي ، وتصرفي ، ومنصرفي ، وتقلبي ومنقلبي ، واحفظني في نفسي ونفائسي ، وعِرضي وعَرضي ، وعَددي وعُددي ، وسكني ومسكني ، وحولي وحالي ، ومالي ومآلي . ولاتلحق بي تغييرا، ولاتسلط علي مغيرا ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا . اللهم احرسني بعينك وعونك ، واخصصني بأمنك ومنك ، وتولني بإختيارك وخيرك ، ولاتكلني إلى كلاة غيرك ، وهب لي عافية غير عافية ، وارزقني رفاهية غير واهية ، واكفني مخاشي اللاواء ، واكنفني بغواشي الآلاء ، ولاتظفر بي أظفار الأعداء ، إنك سميع الدعاء .

ثم أطرق لايدير لحظا ولايحير لفظا ، حتى قلنا قد أبلسته خشية ؛ أوأخرسته غشية .ثم أقنع رأسه وصعد أنفاسه وقال : أقسم بالسماء ذات الأبراج ، والأرض ذات الفجاج ، والماء الثجاج ، والسراج الوهاج ، والبحر العجاج ، والهواء والعجاج . إنها لمن أيمن العوذ ، وأغنى عنكم من لابسي الخوذ . من درسها عند ابتسام الفلق ، لم يشفق من خطبٍ إلى الشفق . ومن ناجى بها طليعة الغسق ؛ أمن ليلته من السرق .

ثم قال فيها : فأدلجت إلى الدسكرة في هيئة منكرة ، فإذا الشيخ في حلة ممصرة ، بين دنان ومعصرة . وحوله سقاة تبهر ، وشموع تزهر ، وآس وعبهر ، ومزمار ومزهر . وهو تارة يستبزل الدنان ، وطورا يستنطق العيدان ، ودفعة يستنشق الريحان ، وأخرى يغازل الغزلان . فلما عثرت على لبسه ، وتفاوت يومه من أمسه ، قلت : أولى لك ياملعون ! أنسيت يوم جيرون ؟ فضحك مستغربا ؛ ثم أنشد مطربا .

(قلت) وأنا العبد الفقير إلى الله : علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس ، بن سالم بن عبدالله باعلوي ، وقد عن لي أن أورد الكرامة ، تخميسي الذي على أبيات الحريري التي أودعها هذه المقامة ، لتتم الفائدة لمطلعها بالسلامة ، وهي هذه :

صحبت السفار لأهل السفار وأمسيت فار من أهل الشفار
ولما استغار علي الكفار لزمت السفار وجبت القفار
وعفت النفار لأجني الفرح

وظلت أجول لنيل السيول وملت أمول من أهل الميول
وخاطرت سول إلى كل سول وخضت السيول ورضت الخيول
لجر ذيول الصبا والمرح

ومست القفار لنيل القفار وأمسيت قار بذي لاقرار
ومازلت قار على كل قار ومطت الوقار وبعت العقار

لحسو العُقار ورشف القدح

وصلت الصلاح لأجل الفلاح وماكنت شاح بأهل السماح

وماقلت آح إذا لاح لاح ولو لا الطماح إلى شرب راح

لما كان باح فمي بالملح

ولو كنت عاق وللخير عاق ولاكان شاق الهنا لي سباق

ولافصل فاق ومن كان فاق ولاكان ساق دهاني الرفاق

لأرض العراق ، بحمل السبح

فيا من عدن ، في ديار الفتن وقد صد عن كل فعل حسن

فأن كنت شنن ذا سوء ظن فلا تغضبن ، ولاتصخبن

ولاتعتبن ، فعذري وضح

فويل لمن كان ، بالهمز بن ومن كان سن سيئ إذا قد أسن

فكن مرتهن في قوي ماوهن ولاتعجبن ، لشيخ أبن

بمعناه أغن ، ودن طفح

ويا من أدام ، فنون الندام ومن هو أقام في فاضحات المقام

دع المستهام ، وكف الملام فإن المدام ، تقوي العظام

وتشفي السقام ، وتنفي الترح

ويا من يجور، بنفس غيور فدعني أدور ، لأهل الحضور

ولاة الأمور، ونعم البدور وأصفا السرور ، إذا ما الوقور

أماط ستور الحيا وأطرح

فإذا لي مرام ، بعيد المرام حلال حرام ، علي الحرام

وقومي كرام ، نبد الكرام   وأحلى الغرام ، إذا المستهام
أزال إكتتام الهوى وافتضح
فإن كنت ذاك فشدد قواك   فإني أشاك ، وأهوى سواك
تصاحب أخاك ومولى لواك   فبح بهواك ، وبرد حشاك
فزند أساك به قد قدح
عليك العلوم الغلى في العلوم   ومهلا تلوم ، أوتطع من يلوم
فإن المشوم ، الذي يسوم   وداو الكلوم ، وسل الهموم
ببنت الكروم التي تقترح
تحام الفسوق وحامل يسوق   ودر للوسوق ، إلى كل سوق
وساق الوثوق بجنح الغسوق   وخص الغبوق ، بساق يسوق
بلاء المشوق إذا ماطمح
ودان البعيد ، إلى كل جيد   وكن مستعيد ، لوعد الوعيد
رواة الرشيد ، إلى مايريد   وشاد يشيد ، بصوت يميد
جبال الحديد له إن صدح
ولاتستميح ، سوى من يميح   وناف الشحيح فبيئس المنيح
وكن للصليح ، شفيق مريح   وعاص النصيح الذي لايبيح
وصال المليح إذا ماسمح
ودان الرجال ، إلى كل جال   فإن الكمال ، بكسب كمال
فمن جال نال ، عزيز المنال   وحل في المحال ، ولو بالمحال

ودع مايقال ، وخذ ماصلح
مـنابي نباك ، أن تنادي خباك　　وهابي مساك ، محـــابي حباك
فرح من رباك ، لقـابي قبـاك　　وفارق أباك ، إذا مـــــا أباك
ومد الشباك وصد ما سمح
تجاف الكسيل وواف النبيل　　وكاف الجميل ، كـفى ماتكيل
وجد للنزيل ، ببذل الجـــزيل　　وصاف الخليل وناف البخيل
وأول الجميل ، ووال المنح
تحز بالطلاب بكل اكتساب　　وسله إنجـذاب ، لأعلى جناب
بوهب مجاب ، ونفح عجـــاب　　ولذ بالمتـــاب ، أمام الذهـاب
فمن دق باب كريم فـتح

﴿ الفائدة الثالثة عشر ﴾

مـن المقامـة الثالثـة عشرـ الـتي تعـرف بالبغداديـة ، ذات المعـاني الأستاذية ، والمثاني الأحوذية ، والمجاني الزمردية . وهـاهي ذه نقلت منهـا ذية :

روى الحارث بن همام قال : ندوت بضواحي الزوراء مع مشـيخة من الشعراء ، لايعلـق لهـم مبـار بغبـار ، ولايجري معهم ممار في مضمار . فأفضـنا في حـديث يفضـح الأزهـار إلى أن نصـفنا النهـار . فلـما غـاض در الأفـكار ؛ وصـبت النفـوس إلى الأوكار . لمحنـا عجـوزا تقبـل مـن البعـد ، وتحضر إحضار الجرد . وقد استتلت صبية أنحف مـن المغـازل ، وأضعف من الجوازل . فما كـذبت إذ رأتنـا ان عرتنـا ، حتى إذا ماحضرتنا قالـت :

حيا الله المعارف وإن لم يكن معارف . اعلموا يا مآل الآمل وثمال الأرامل ؛ إني من سروات القبائل ، وسريات العقائل . لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ، ويسيرون القلب ويمطون الظهر ، ويولون اليد . فلما أردى الدهر الأعضاد ؛ وفجع بالجوارح الأكباد ؛ وانقلب ظهرا لبطن ، نبا الناظر وجفا الحاجب . وذهبت العين وفقدت الراحة ، وصلد الزند ، ووهنت اليمين ، وضاع اليسار وبنت المرافق ، ولم يبق لنا ثنية ولاناب . فمذ أغبر العيش الأخضر ؛ وازور المحبوب الأصفر ، أسود يومي وابيض فودي الأسود ، حتى رثى لي العدو الأزرق . فحبذا الموت الأحمر ، وتلوي من ترون عينه فُراره ، وترجمانه اصفراره ، قصوى بغية أحدهم ثردة ، وقصارة أمنيته بردة . وكنت آليت أن لا أبذل الحر إلا للحر ، ولو أني مت من الضر ، وقد ناجتني القرونة بأن توجد عندكم المعونة . وآذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحِباء . فنضر الله إمرأ أبر قسمي وصدق توسمي ، ونظر إلي بعين يقذيها الجمود ، ويقذِّيها الجود .

قال الحارث بن همام : فهمنا لبراعة عبارتها ، وملح إستعارتها . وقلنا لها : قد فتن كلامك فكيف إلحامك ؟ فقالت : أفجر الصخر ولافخر . فقلنا : إن جعلتينا من رواتك لم نبخل بمؤاساتك . فقالت : لأرينكم أولا شعاري ثم لأروينكم أشعاري . فأبرزت ردن درع دريس ، وبرزت برزة عجوز دردبيس ، وأنشأت تقول :

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ⁂ ريب الزمان المتعدي البغيض
ياقوم إني من أناس غنوا ⁂ دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض

فخارهم ليس له دافـــــــع ... وصيتهم بين الـــورى مستفيض
كانوا إذا مانجعة أعـــــوزت ... في السنة الشهباء روضـا أريض
تشب للسارين نيرانـــــــهم ... ويطعمون الضيف لحمـــا غريض
مابات جار لهم ساغـــــبا ... ولا لروع قال حال الجـــــريض
فغيضت منهم صروف الردى ... بحار جود لم نخلـــــــها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى ... أسد التحامي وأساة المــــريض

ثم بعد تمامها قال أيضا شعراً :

ياليت شعري أدهري ... أحـــــاط علما بقدري
وهل درى كنه غوري ... في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنـــيه ... بحيلتي وبمـــــــكري
وكم برزت بعــــرف ... عليهم وبنـــــــكر
أصطاد قوما بوعـظ ... وآخــــــرين بشعر
وأستفز بخـــــــل ... عقلا وعقـــلا بخمر
وتارة أنا صـــخــــر ... وتارة أخت صـــــخر
ولو سلكت سبـيلا ... مألوفة طـــول عمري
لخاب قدحي وقـدحي ... ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هـــــذا ... عذري فدونك عذري

﴿الفائدة الرابعة عشر﴾

من المقامة الرابعة عشر التي تعرف بالمكية ، ذات المعاني الواضحة الزكية . قال فيها شعراً :

ياسادتي في المعـالي	لهم مـــباني مشيدة
ومن إذا ناب خطب	قاموا بدفـــع المكيدة
ومن يهـــون عليهم	بذل الكـــنوز العتيدة
أريد منكم شـــواء	وجــــردقا وعصيدة
فإن غــــلا فرقاق	به تـــوارى الشهيدة
أو لم يكن ذا ولا ذا	فشبعة من ثريـــــدة
فإن تعذرن طــــرا	فعجوة ونهــــــيدة
فأحضروا ما تسنى	ولوشظى من قديـدة
وروجـــوه فنفسي	لما يروج مــــــريدة
والزاد لا بد مـــنه	لرحـــــلة لي بعيدة
وأنتمُ خـير رهـــط	تدعون عند الشديدة
أيديكمُ كل يـــوم	لها أياد جــــــديدة
وراحكم واصـــلات	شمل الصلات المفيدة
وبغيتي في مطـاوي	ماترفدون زهـــيدة
وفيَّ أجـــر وعقبى	تنفيس كربي حمـيدة
ولي نـتائج فـــكر	يفضحن كل قصـــيدة

﴿ الفائدة الخامسة عشر ﴾

من المقامة الخامسة عشر التي تعرف بالفرضية ، ذات السيرة المرضية ، والبصيرة المبصرة الرضية . قال فيها :

فقلت له أحبب بلقائك المتاح إلى قلبي المرتاح . ثم أخذ يفتن بحكاياته ؛ ويشمط مضحكاته بمبكياته . إلى أن عطس أنف الصباح ، وهتف داعي الفلاح . فتأهب لإجابة الداعي ، ثم عطف إلى وداعي . فعقته عن الإنبعاث ؛ وقلت الضيافة ثلاث ، فناشد وحرَّج ، ثم أم المخرج ، وأنشد إذ عرج :

لا تزر من تحب في كل شهر   غـــير يوم ولاتزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوما   ثم لاتـنظر العيون إليه

قال الحارث بن همام : فودعته بقلب دامي القرح ، ووددت لو أن ليلتي بطيئة الصبح .

﴿ الفائدة السادسة عشر ﴾

من المقامة السادسة عشر المغربية . قال فيها : فلم أجلس إلا لمحة بارق خاطف ، أونغبة طائر خائف . حتى غشينا جواب على عاتقه جراب ، فحيانا بالكلمتين ؛ وحيى المسجد بالتسليمتين . ثم قال : يا أولي الألباب ؛ والفضل اللباب ، أما تعلمون أن أنفس القربات تنفيس الكربات ! وأمتن أسباب النجاة ، مؤاسات ذوي الحاجات ! وإني ومن أحلني ساحتكم ؛ وأتاح لي استماحتكم ؛ لشريد محل قاص ، وبريد صبية خماص . فهل في الجماعة من يفثأ حميا المجاعة ؟ .

(فائدة) قال العبد علي بن حسن بن عبد الله العطاس : كان في حال تأليفنا لهذه المقدمة ، نعيد هذه الجملة التي آخرها : فهل في الجماعة من يفثأ حميا المجاعة ؟ وعندنا صاحبنا الشيخ محمد بن عمر بن عبد الله بن عفيف فقال : لو به شيء مما ذكره من الجوع لكان ذهنه غير مجموع ، لتحكيم هذه الحكم يعني السجوع ، وابتداع تلك البدوع .

وكذلك قد كنا مرة قبل ذلك نقرأ فيها في المقامة الدمشقية ، والليلة الثانية في التي تليها وهي البغدادية ، فقال الشيخ احمد بن عمر بانافع رحمه الله وكان من الحاضرين حين سمع أن الرجل في صورة العجوز : كذاب هوذا ، وقد البارح ألقى ذاك الذي وقع له ، يعني من الخفارة على السيارة في غير مرضات الله .

وكذلك حضر عندنا مرة ولدنا سعيد بن إبراهيم باداود في قرآءة بعض المقامات فقال : أنا ياشيبة البركة . حين سمع منه تعاطي المكر وتأفيك الأفكة .

ونعود إلى تمام الموعود . ثم قال فيها : ثم خطا قيد رمحين ، وعاد مستيعذا من الحين . وقال : ياعز من عدم الآل ، وكنز من سلب المال . إن الغاسق قد وقب ، ووجه المحجة قد انتقب . وبيني وبين كني ليل دامس ، وطريق طامس ، فهل من مصباح يؤمنني العثار ويبين لي الآثار ؟ قال : فلما جيئ بالملتمس وجَلَّى الوجوه ضوء القبس ، رأيت صاحب صيدنا هو أبو زيدنا . فقلت لأصحابي : هذا الذي أشرت إلى أنه إذا نطق أصاب ، وإن استمطر صاب . فاتلعوا نحوه الأعناق ، واحدقوا به

الأحداق . وسألوه أن يسامرهم ليلته ؛ على ان يجبروا عيلته . فقال : حبا لما أحببتم ، ورحبا بكم إذ رحبتم . غير أني قصدتكم وأطفالي يتضورون من الجوع ، ويدعون لي بوشك الرجوع . وإن استراثوني خامرهم الطيش ، ولم يصفو لهم العيش . فدعوني لأذهب فأسد مخمصتهم ، وأسيغ غصتهم . ثم أنقلب إليكم على الأثر ، متأهبا للسمر إلى السحر . فقلنا لأحد الغلمة : أتبعه إلى فئته ليكون أسرع لفيئته . فانطلق معه مضطبنا جرابه ، ومحثحثا إيابه . فأبطأ بطاء جاوزحده ، ثم عاد الغلام وحده . فقلنا له : ماعندك من الحديث عن الخبيث ؟ فقال : أخذ بي في طرق متعبة وسبل متشعبة ، حتى أفضينا إلى دويرة خربة . فقال : هاهنا مناخي ووكر أفراخي . ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه . وقال : لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى مني . فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح ، ومغارس المصالح . وأنشد :

إذا ماحويت جنى نخلة — فلا تقربنها إلى قابل
وأما سقطت على بيدر — فخوصل من السنبل الحاصل
ولاتلبثن إذا مالقطت — فتنشب في كفة الحابل
ولاتوغلن إذا ماسبحت — فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف — وبع آجلا منك في العاجل
ولاتكثرن على صاحب — فما مل قط سوى الواصل

ثم قال : أخزنها في تأمورك ، واقتد بها في أمورك . وبادر إلى صحبك في كلاءة ربك . فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي ، واتل عليهم وصيتي

، وقل لهم عني : إن السهر في الخرافات لمن أعظم الآفات . ولست ألغي إحتراسي ، ولا أجلب الهوس إلى رأسي . قال الراوي : فلما وقفنا على فحوى شعره ، واطلعنا على نكره ومكره . تلاومنا على تركه والإغترار بإفكه . ثم تفرقنا بوجوه باسرة ، وصفقة خاسرة .

﴿ الفائدة السابعة عشر ﴾

من المقامة السابعة عشر التي تعرف بالقهقرية ، ذات الحكم اللقمانية ، بالرسالة العبقرية . قال فيها :

أتعرفون رسالة أرضها سماؤها ، وصبحها مساؤها ؟ نسجت على منوالين ، وتجلت في لونين ، وصلت إلى جهتين ، وبدت ذات وجهين . إن بزغت من مشرقها فناهيك برونقها ، وإن طلعت من مغربها فيا لعجبها ! قال : فكأن القوم رموا بالصمات ، أوحقت عليهم كلمة الإنصات . فما نبس منهم إنسان ، ولافاه لأحدهم لسان . فحين رآهم بُكما كالأنعام ، وصموتا كالأصنام ، قال لهم : قد أجلتكم أجل العدة ، وأرخيت لكم طِول المدة . ثم هاهنا مجمع الشمل وموقف الفصل . فإن سمحت خواطركم مدحنا ، وإن صلدت زنادكم قدحنا . فقالوا له : والله مالنا في لجة هذا البحرمسبح ؛ ولا في ساحله مسرح . فأرح أفكارنا من الكد ، وهنيء العطية بالنقد . واتخذنا إخوانا يثبون إذا وثبت ، ويثيبون متى استثبت . فأطرق ساعة ثم قال : سمعا لكم وطاعة . فاستملوا مني وانقلوا عني :

الإنسان صنيعة الإحسان ، ورب الجميل فعل الندب ، وشيمة الحر ذخيرة الحمد ، وكسب الشكر استثمار السعادة . وعنوان الكرم تباشير البشر . واستعمال المداراة يوجب المصافاة . وعقد المحبة يقتضي النصح ، وصدق الحديث حلية اللسان . وفصاحة المنطق سحر الألباب . وشرك الهوى آفة النفوس . وملل الخلائق شين الخلائق . وسوء الطمع يباين الورع . والتزام الحزامة زمام السلامة . وتطلب المثالب شر المعايب . وتتبع العثرات يدحض المودات . وخلوص النية خلاصة العطية . وتهنئة النوال ثمن السؤال . وتكلف الكلف يسهل الخلف . وتيقن المعونة يسنِّي المؤونة . وفضل الصدر سعة الصدر . وزينة الرعاة مقت السعاة . وجزاء المدائح بث المنائح . ومهر الوسائل تشفيع المسائل . ومجلبة الغواية استغراق الغاية . وتجاوز الحد يكل الحد . وتعدي الأدب يحبط القرب . وتناسي الحقوق ينشيء العقوق . وتحاشي الريب يرفع الرتب . وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار . وتنوه الأقدار بمؤاناة الأقدار . وشرف الأعمال في تقصير الآمال . وإطالة الفكرة تنقيح الحكمة . ورأس الرئاسة تهذب السياسة . ومع اللجاجة تلغى الحاجة . وعند الأوجال تتفاضل الرجال . وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم . وبتزايد السفير يهن التدبير . وبخلل الأحوال تتبين الأهوال . وبموجب الصبر ثمرة النصر . واستحقاق الإحماد بحسب الإجتهاد . ووجوب الملاحظة كِفاء المحافظة . وصفاء الموالي بتعهد الموالي . وتحلي المروءات بحفظ الأمانات . واختيار الإخوان بتخفيف الأحزان . ودفع الأعداء بكف الأوداء . وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء . وتبصر

العواقب يؤمن المعاطب . واتقاء الشنعة ينشر السمعة . وقبح الجفاء ينافي الوفاء . وجوهر الأحرار عند الأسرار .

ثم قال : هذه مائة لفظة تحتوي على أدب وعظة . فمن ساقها هذا المساق ، فلامراء ولاشقاق . ومن رام عكس قالبها وأن يردها على عقبها ؛ فليقل الأسرار عند الأحرار . وجوهر الوفاء ينافي الجفاء . وقبح السمعة ينشر الشنعة . ثم على هذا المسحب فليسحبها ولايرهبها . حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة دورها . ورب الإحسان صنيعة الإحسان .

﴿ الفائدة الثامنة عشر ﴾

من المقامة الثامنة عشر المسماة السخاوية . قال فيها شعراً :

فلا تعذلوني بعد ماقد شرحته ... على أن حرمتم اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وإنني ... سأرتق فتقي من تليدي وطارفي
على ما أن مازودتكم من فكاهة ... ألـذ من الحلوى لدى كل عارف

﴿ الفائدة التاسعة عشر ﴾

من المقامة التاسعة عشر ، التي تعرف بالنصيبية ، ذات الألفاظ اللغوية ، والكنا الطفيلية ، والكنايات الصوفية . قال فيها شعراً :

عافاني الله وشكرا له ... من علة كادت تعفيني
ومن له بالبرء على أنه ... لا بد من حتف سيبريني
ما يتناساني ولكنه ... إلى تقضي الأكل ينسيني
إن حم لم يغن حميم ولا ... حمى كليب منه يحميني

ولا أبالي أدنا يومـــه		أم أخر الحين إلى حـين
فأي فخر في حياة أرى		فيها الـــبلايا ثم تبليني

ثم قال فيها :

لا تيأسن عند الـنوب		من فرجة تجــــلوالكرب
فلكم سـموم هب ثم		جــــرى نسيما وانقلب
وسحاب مكـروه تنشـ		ـافاضمحــــل وماسكب
ودخان خطب خيف منـ		ـه فما استـــبان له لهب
ولطالما طلـــع الأسى		وعلى تفيــــئته غرب
فاصبر إذا ما ناب روع		فالزمـان أبو العـــجب
وترج مـن روح الإلــ		ـــــه لطائفا لاتحتسب

﴿الفائدة العشرون﴾

من المقامة العشرين . التي تعرف بالفارقية . قال فيها :

حكى الحارث بن همام قال : يممت ميا فارقين مع رفقة مـوافقين ، لايمارون في المناجاة ، ولايدرون ماطعم المـداجاة . فكنت بهـم كمـن لم يـرم عن وجاره ، ولاظعن عـن أليفـه وجاره . فلما أنخنا بهـا مطـايا التسـيار ، وانتقلنا عن الأكوار إلى الأوكار . تواصينا بتـذكار الصحبة ؛ وتناهينـا عـن التقاطع في الغربة . واتخذنا ناديا نعتمره طـرفي النهـار ؛ ونتهـادى فيـه طـرف الأخبار . فبينما نحن به في بعض الأيام ؛ وقـد انتظمنـا في سـلك الإلتئـام ،

وقف علينا ذو مقول جري ؛ وجرس جهوري . فحيا تحية نفاث في العقد ؛ قناص للأسد والنقد ، ثم قال :

عندي يا قوم حديث عجيب فيه اعتبار للبيب الأريب
رأيت في ريعان عمري أخا بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك إقدام من يوقن بالفتك ولايستريب
فيفرج الضيق بكراته حتى يرى ماكان ضنكا رحيب
مابارز الأقران إلا انثنى عن موقف الطعن برمح خضيب
ولاسما يفتح مستصعبا مستغلق الباب منيعا مهيب
إلا ونودي حين يسمو له نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه وهولدى الكل المفدى الحبيب
فلم يزل يبتزه دهره مافيه من بطش وعود صليب
حتى أصارته الليالي لقا يعافه من كان منه قريب
قد اعجز الراقي تحليل ما به من الداء وأعيأ الطبيب
وصارم البيض وصارمنه من بعد ماكان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى فمن يرغب في تكفين ميت غريب

﴿ الفائدة الحادية والعشرون ﴾

من المقامة الحادية والعشرين ، التي تعرف بالرازية ، ذات المواعظ النباتية الإنجازية ، والحلاوة العسلية . قال أولها :

حكى الحارث بن همام قال : عنيت مذ أحكمت تدبيري ؛ وعرفت قبيلي من دبيري . بأن أصغي إلى العظات ؛ وألغي الكلم المخفظات . لأتحلى بمحاسن الأخلاق ؛ وأتخلى مما يسم بالخلاق . وما زلت آخذ نفسي- بهذا الأدب ؛ وأخمد به جمرة الغضب . حتى صار التطبع فيه طباعا ؛ والتكلف له هوى مطاعا . فلما حللت بالري ؛ وقد حللت حبى الغي ؛ وعرفت الحي من اللي . رأيت بها ذات بكرة ؛ زمرة في إثر زمرة ، وهم منتشرون انتشار الجراد ؛ ومستنون استنان الجياد ، ومتواصفون واعظا يقصدونه ؛ ويحلون ابن سمعون دونه . فلم يتكاء أذني لإستماع المواعظ ؛ واختيار الواعظ ؛ أن أقاسي اللاعظ ، وأحتمل الضاغط . فأصحبت إصحاب المطواعة ؛ وانخرطت في سلك الجماعة . حتى أفضينا إلى ناد حشد النبيه والمغمور . وفي وسط هالته ووسط أهلته شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلنس وتطلس . وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ؛ ويلين الصخور ، فسمعته يقول وقد افتتن به العقول :

ابن آدم ما أغراك بمايغرك ، وأضراك بما يضرك ، وألهجك بما يطغيك ، وأبهجك بمن يطريك ! تُعنى بما يُعنيك ؛ وتهمل مايَعنيك . وتنزع في قوس تعديك ؛ وترتدي الحرص الذي يرديك . لا بالكفاف تقتنع ؛ ولا من الحرام تمتنع ، ولا للعظات تستمع ، ولا بالوعيد ترتدع . دأبك أن تتقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط العشواء . وهمك ان تدأب في الإحترات

، وتجمع التراث للوراث . يعجبك التكاثر بما لديك ، ولاتذكر مابين يديك . وتسعى أبدا لغاريك ، ولاتبالي ألك أم عليك ! أتظن أن ستترك سدى ، وأن لاتحاسب غدا ؟ أم تحسب أن الموت يقبل الرشى ، أو يميز بين الأسد والرشا . كلا والله لن يدفع المنون مال ولابنون ! ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور . فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من إرعوى ، وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى . ثم أنشد إنشاد وجل ، بصوت زجل :

لعمرك ماتغني المغاني ولا الغنى ... إذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا ... بما تقتني من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فإنه ... بمخلبه الأشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل أخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه ... أخو ضلة إلا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الإله وخوفه ... لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ... بدمع يضاهي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه
وإن قصارى منزل الحي حفرة ... سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواهاً لعبد ساءه سوء فعله ... وأبدى التلاقي قبل إغلاق بابه

ثم قال فيها أيضا :

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد

وأبغي رضى الله فأغبى الورى　　من أسخط المولى وأرضى العبيد

﴿ الفائدة الثانية والعشرون ﴾

من المقامة الثانية والعشرين التي تعرف بالفراتية . قال فيها شعراً :

إسمع أخيَّ وصـــية من ناصح　　ماشاب محض النصح منه بغشه
لاتعجلن بقضـية مبتـــــوتة　　في مـد ح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي　　وصفيه في حـالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه　　للشائمين ووبلـــــه من طشه
فهناك أن تر ما يشين فـواره　　كرمـــا وإن تر مايزين فأفشه
ومن استحق الإرتقاء فرقه　　ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بأن التبر في عرق الثرى　　خـافٍ إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظـهر سرها　　من حكه لا من مـلاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا　　لصـــقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهـــذبا في نفسه　　لدروس بزتـــــه ورثة فرشه
ولكم أخي طمرين هيب لفضله　　ومفوف الـبردين عيب لفحشه
وإذا الفتى لم يغش عارالم تكن　　أسماله إلا مراقي عــــــرشه
ما إن يضر العضب كون قرابـه　　خلقا ولا البازي حقـارة عشه

﴿ الفائدة الثالثة والعشرون ﴾

من المقامة الثالثة والعشرين التي تسمى الشعرية البغدادية . قال فيها شعراً :

ياخاطب الـدنيا الدنية إنـها　　　شرك الردى وقــرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها　　　أبكت غدا بعدا لــها من دار
وإذا أظل سحابها لم ينـــتفع　　　منه صدى لجهـــامه الغرار
غاراتها ماتنقضي وأســيرهـا　　　لا يفتدى بجلائل الأخـــطار
كم مزدهى بغرورها حتى بـدا　　　متمردا متجاوز المقــــدار
قلبت له ظهر المجن وأولغت　　　فيه المـدى ونزت لأخـذ الثار
فأربأ بعمرك أن يمر مضــيعا　　　فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها　　　تلق الهدى ورفاهـة الأسـرار
وارقب إذا ما سالمت من كيدها　　　حرب العدى وتوثب الغـدار
واعلم بأن خطوبها تفجا ولـو　　　طال المدى وونت سرى الأقـدار

وقال فيها : فاعترضه الفتى وقال : ياهذا إن اللجاج شؤم ، والحنق لؤم ، وتحقيق الظنة إثم ، وإعنات البريء ظلم . وهبني اقترفت جريرة ؛ أواجترحت كبيرة ، أما تذكر ما أنشدتني لنفسك في إبان أنسك حيث تقول :

سامح أخـاك إذا خلط　　　منه الإصـابة بالغلـط
وتجاف عن تعنـــيفه　　　إن زاغ يومـا أوقسط
واحفظ صنيعك عنده　　　شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه إن عاصى وهن　　　إن عز وادن إذا شحط
واقن الوفاء ولو أخلــ　　　ـل بما اشترطت وماشرط
واعـلم بأنك إن طلبــ　　　ـبت مهذبا رمت الشطط

من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
أوما ترى المحبوب والـ ـمكروه لزاً في نمط
كالشوك يبدو في الغصو ن مع الجني الملتقط
ولذاذة العمر الطويـ ـل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط
رضت البلاغة والبرا عة والشجاعة والخطط
فوجدت أحسن مايرى سبر العلوم معا فقط

(فائدة) أجنبية داخلة في هذه المقامة الأشفية . روي أن الشيخ عمر بن علي ابن الفارض السعدي الكبير ، كان كثير التعلق بمطالعة كتاب المقامات ، وأنه كان ذات يوم في بعض الزوايا بمكة المشرفة ينشد هذه الأبيات التي أولها : سامح أخاك إذا خلط . الأبيات حتى انتهى إلى قوله : من الذي ماساء قط ، ومن له الحسنى فقط . فجعل الشيخ عمر ابن الفارض يكرر هذا البيت ! فأجابه هاتف يسمع صوته ولايرى شخصه يقول :

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

فلذا أثبتناه والبيت الذي قبله ، لأنه يوجد كذلك في جملة نسخ المقامات . والله أعلم .

﴿ الفائدة الرابعة والعشرون ﴾

من المقامة الرابعة والعشرين التي تعرف بالقطيعية ، ذات المسائل النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والكلمات البديعية . ونقتصر على نقل تفسيرها ، لأن فيه تحقيق تسبيرها بعد تعبيرها . قال : تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية ، والأحاجي النحوية :

أما صدر البيت الأخير من الأغنية الذي هو : (فإن وصلا ألذ به فوصل) فإنه نظير قولهم : المرء مجزيء بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر . وهذه المسألة أودعها سيبويه كتابه وجوز في إعرابها أربعة أوجه ؛ أحدها : وهو أجودها ؛ أن تنصب خيرا الأول وترفع الثاني ؛ وتنصب شرا الأول وترفع الثاني . ويكون تقديره إن كان عمله خيراً فجزاؤه خيرٌ ؛ وإن كان عمله شراً فجزاؤه شرٌ . فتنصب الأول على أنه خبر كان ، وترفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف . وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو إن على تقديرهما ، وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه ، لأن كثيرا مايقع بعدها .

والوجه الثاني أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان عمله خيرا فهو يجزئ خيرا ، وإن كان عمله شرا فهو يجزئ شرا . فينتصب الأول على أنه خبر كان ؛ وينتصب الثاني انتصاب المفعول به .

والوجه الثالث أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام : إن كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خبر الأول على أنه اسم كان ، ويرتفع خير الثاني على مابين في شرح الوجه الأول . وقد يجوز ان يرتفع خير الأول على أنه فاعل كان وتجعل كان المقدرة ههنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث

ووقع ، فلاتحتاج إلى خبر . كقوله تعالى ﴿ **وإن كان ذوعسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ [الآية ٢٨٠ البقرة] ويكون التقدير في المسألة إن كان خير فجزاؤه خير ، أي إن حدث خير فجزاؤه خير .

والوجه الرابع وهو أضعفها : أن ترفع الأول على ماتقدم شرحه في الوجه الثالث ، وتنصب الثاني على مابين ذكره في الوجه الثاني ، ويكون التقدير : إن كان في عمله خير فهو يجزي خيرا . وعلى حسب هذا التقدير والمقدرات المحذوفات فيه يجري إعراب البيت الذي غنى به .

ومما ينتظم في هذا المسلك قولهم : المرء مقتول بما قتل به ؛ إن سيفا فسيف وإن خنجرا فخنجر .

وأما الكلمة التي هي حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب ، فهي نعم ! إن أردت بها تصديق الأخبار أوالعدة عند السؤال فهي حرف . وإن عنيت بها الإبل فهي اسم . والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الإبل وعلى كل ماشية فيها إبل ، وفي الإبل الحرف ؛ وهي الناقة الضامرة ، سميت حرفا تشبيها بها بحرف السيف ، وقيل أنها الضخمة تشبيها بحرف الجبل .

(قلت) زيادة على مافي تفسير الحريري ، قال كعب ابن زهير في وصف ناقته من قصيدته بانت سعاد :

حرف أبوها أخوها من مهجنة   وعمها خالها قواد شمليل

وقال الشيخ أبو العلا احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري المشهور ، صاحب الديوان والأمثال السائرة مسير الركبان ، في وصف ناقته أيضا مع إضمار رُبَّ بعد الواو :

وحرف كنون تحت راء ولم يكن بدال يأم الرسم غيره النقط

قال دعسين في شرحه : يعني ورب حرف ، أي الناقة مثل النون من شدة الضمر تحت الدار رجلا يضرب ربتها بعرقوبه ، ولم يكن بدال ، أي يرفق في المسير ، أم أي يقصد الرسم محل الدراسة . ويقال أيضا : الطلل إذا بقيت آثار الدار الستر وغيره النقط ، يعني المعري المذكور ضرير البصر من صغره . ومن غزر شعره قوله :

والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
والنجم قد تنكر الأبصار رؤيته والذنب للعين لاكالنجم في الصغر
والبخل والحمد ضدان اجتماعها مثل اجتماع فتاء السن والكبر

وقال في لاميته المشهورة :

إذا أنت آويت السعادة لم تنل وإن نظرت منك شرار القبائل

قالوا : وصنف المعري كتابا بلغ فيه إلى المائة والخمسين الجزء . توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة ببلد المعرة . وهو من أصحاب الشيخ أبي الطيب المتنبي احمد بن حسين الشارحين لكلامه ، المتعصبين له على من نطق بملامه . انتهى مازدته هنا فوق مانقلته من تفسير مقامة من سمى مقامه .

ثم نعود إلى تمام نقل ما تم تمامه . قال الحريري : (وأما الاسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم) فهو سراويل . قال بعضهم : هو واحد وجمعه سراويلات ، فعلى هذا القول هو فرد . وكنى عن ضمه الخصر بأنه حازم . وقال آخرون بل هو جمع ، واحده سروال مثل شملال وشماليل وسربال وسرابيل ، فهو على هذا القول جمع . ومعنى قوله ملازم أي لاينصرف وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع ؛ وهو كل جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدد أوحرفان أوثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفرده دون غيره من الجموع ، بأن لانظير له في الأسماء الآحاد . وقد كنى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم كما كنى في التي قبلها عما ينصرف باللازم .

وأما الهاء التي إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المتقدم ذكره ، كقولك : صيارفة وصياقلة ، فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء ، لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد ؛ نحو : رفاهية وكراهية . فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة . وقد كنى في هذه الأحجية عما لاينصرف بالمعتقل ، كما كنى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم .

وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل فهي التي تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب ، فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة ، وذلك كقوله تعالى ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضى** ﴾ وتقديره علم أنه سيكون .

وأما المنصوب على الظرف الذي لايخفضه سوى حرف فهو عند إذ لايجره غير من خاصة . وقول العامة : ذهبت إلى عنده لحن .

وأما المضاف الذي أخل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه بين مساءٍ وغدوة فهو لدن ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة ، وكل مايأتي بعدها مجرور بها ، إلا غدوة ؛ فإن العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام ، ثم نونتها أيضا لتبين بذلك أنها منصوبة لا أنها من نوع المجرورات التي لاتنصرف . وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند ، والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على ماهو في ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ، ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك .

وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها ؛ أي وكلتاهما من حروف النداء ، وعملهما في الإسم المنادى سيان ، وإن كانت يا أجول في الكلام وأكثر في الإستعمال . وقد اختار بعضهم أن ينادى بأي القريب فقط كالهمزة .

وأما العامل الذي نائبه أرحب منه وكرا ؛ وأعظم منه مكرا ؛ وأكثر لله تعالى ذكرا فهو باء القسم . وهذه الباء هي أصل حروف القسم ، بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك : أقسم بالله . ولدخولها أيضا على المضمر كقولك : بك لأفعلن . وإنما أبدلت الواو منها في القسم لأنهما جميعا من حروف الشفة ، ثم لتقارب معنييهما . لأن الواو تفيد الجمع ، والباء تفيد الإلصاق . وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان . ثم صارت الواو

المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق في الأقسام ، ولهذا ألغز بها بأنها أكثر لله تعالى ذكرا . ثم أن الواو أكثر موطنا من الباء ، لأن الباء لاتدخل إلا على الإسم ، ولاتعمل غير الجر ، والواو تدخل على الإسم والفعل والحرف ، وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب . وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف . فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر .

وأما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان ، وتبرز فيه ربات الأحجال بعمائم الرجال فهو أول مراتب العدد المضاف ؛ وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة ، فإنه يكون مع المذكر بالهاء ، ومع المؤنث بحذفها . كقوله تعالى ﴿ **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام** ﴾ والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك : قائم وقائمة وعالم وعالمة . فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه ، وبرز في بزة صاحبه .

وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أوفي أحدهما ، وذلك إذا كانا مقصورين مثل : موسى وعيسى ، أومن أسماء الإشارة نحو : ذاك وهذا . فيجب حينئذ لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه ، والمفعول بتأخره .

وأما الاسم الذي لايفهم إلا باستضافة كلمتين أوالإقتصار منه على حرفين فهو مهما . وفيها قولان أحدهما : أنها مركبة من مه التي هي بمعنى أكفف . ومن ما ، والقول الثاني : هو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت

عليها ما أخرى كما تزاد على أن فصار لفظها ما ما ، فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد ، فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء ، فصارتا مهما . ومهما من أدوات الشرط والجزاء ، ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولاعُقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك : مهما تفعل أفعل . وتكون حينئذ ملتزما للفعل . وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى أكفف ، فهم المعنى وكنت ملتزما من خاطبته أن يكف .

وأما الوصف الذي أردف بالنون نقص صاحبه في العيون ؛ وقوم بالدون ؛ وخرج من الزبون ؛ وتعرض للهون فهو ضيف إذا لحقته النون استحال إلى ضيفن ، وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في النقد منزلة الزيف .

﴿ الفائدة الخامسة والعشرون ﴾

من المقامة الخامسة والعشرين ، المسماة بالكرجية (بالجيم) قال فيها : يا أرباب الثراء ؛ الرافلين في الفراء . من أوتي خيرا فلينفق ، ومن استطاع أن يرفق فليرفق . فإن الدنيا غدور ؛ والدهر عثور . والمكنة زورة طيف ، والفرصة مزنة صيف . وإني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته ؛ وأعددت الأهب له قبل موافاته . وها أنا اليوم ياسادتي ؛ ساعدي وسادتي ، وجلدتي بردتي ؛ وحفنتي جفنتي . فليعتبر العاقل بحالي ؛ وليبادر صرف الليالي . فإن السعيد من اتعظ بسواه ؛ واستعد لمسراه .

فقيل له قد جلوت علينا أدبك ؛ فاجل لنا نسبك ؟ فقال : تبا لمفتخر بعظم نخر . إنما الفخر بالتقى والأدب المنتقى . ثم أنشد :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ماتجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم نظم كافات الشتاء السبع بقوله :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن أوطاننا حبسا
كن وكيس وكانون وكأس طلا بعد الكباب وكف ناعم وكسا

(قلت) وقوله : سبع إذا القطر عن أوطاننا حبسا ، صوابه : إذا القطر عن الأوطان ماحبسا . لأنه إذا حبس القطر عن الأوطان لم يدرك من كافات الشتاء شيئا كائن من كان ؛ فلينظر بإنصاف ، والله اعلم بالصواب .

﴿ الفائدة السادسة والعشرون ﴾

من المقامة السادسة والعشرين ، التي تعرف بالرقطاء . قال أولها : حدث الحارث بن همام قال : حللت سوقي الأهواز ؛ لابساحة الإعواز ، فلبثت فيها مدة أكابد شدة ، وأزجي أياما مسودة ، إلى رأيت تمادي المقام من عوادي الإنتقام .

﴿ الفائدة السابعة والعشرون ﴾

من المقامة السابعة والعشرين ، التي تعرف بالوبرية . قال فيها شعرا :

قل لمستطلع دخيلة أمــري   لك عنـــدي كرامة وعزازه
أنا مابين جوب أرض فأرض   وسرى في مفـــازة فمفازه
زادي الصيد والمطية نعـلي   وجهازي الجـــراب والعكازه
فإذا ماهبطت مصراً فبيـتي   غرفة الخان والنديم جـــزازه
ليس لي ما أساء إن فات أوأحـ   ـزن إن حاول الزمان ابـتزازه
غير أني أبيت خلوا من الهـ   ـم ونفسي عن الأسى منحازه
أرقد الليل ملء جفني وقلبي   بارد من حـــرارة وحـزازه
لا أبالي من أي كأس تفوقت   ولا من حـلاوة من مزازه
لا ولا أستجيز أن أجعل الـ   ـذل مجازا إلى تسـني إجازه
وإذا مطلب كسا حلة العـــا   ر فبعدا لمن يروم نجـــازه
ومتى اهتز للدناءة نكـــس   عاف طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدناياوخـــــير   من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثم قال فيها : دع الإلتفات إلى مافات . والطماح إلى ماطاح . ولا تأس على ماذهب ؛ ولو أنه واد من ذهب . ولاتستمل من مال عن ريحك ؛ وأضرم نار تباريحك ، ولوكان ابن بوحك أوشقيق روحك .

ثم قال في موضع آخر منها : فقال لي أبوزيد : تسلمها وتسنمها ، فإنها إحدى الحسنيين ، وويل أهون من ويلين . قال الحارث بن همام : فحرت بين لوم أبي زيد وشكره ، وزنة نفعه بضره . فكأنه نوجي بذات صدري ، أوتكهن ماخامر سري . فقابلني بوجه طليق ، وأنشد بلسان ذليق :

يا أخي الحامل ضيمي دون إخواني وقومي
إن يكن ساءك أمسي فلقد سرك يومي
فاغتفر ذاك لهذا واطرح شكري ولومي

﴿ الفائدة الثامنة والعشرون ﴾

من المقامة الثامنة والعشرين التي تعرف بالسمرقندية . قال في آخرها :

لاتبك إلفا نأى ولادارا در مع الدهر كيفما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ومثل الأرض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارا
ولاتضع فرصة السرور فما تدري أيوما تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة وقدأدارت على الورى دارا
وأقسمت لاتزال قانصة ماكر عصر المحيا ومادارا
فكيف ترجى النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولادارا

﴿ الفائدة التاسعة والعشرون ﴾

من المقامة التاسعة والعشرين ، التي تعرف بالواسطية ، قال في أثنائها : هذه الخطبة لعقد النكاح التي لم تنقط ، ولم تعجم شيء من حروفها قط . وهي هذه :

الحمد لله الملك المحمود ، المالك الودود ، مصور كل مولود ، ومال كل مطرود ، ساطع المهاد ، وموطد الأطواد ، ومرسل الأمطار ،

ومسهل الأوطار ، وعالم الأسرار ومدركها ، ومدمر الأملاك ومهلكها ، ومكور الدهور ومكررها ، ومورد الأمور ومصدرها . عم سماحه وكمل ، وهطل ركامه وهمل ، وطاوع السؤل والأمل ، وأوسع المرمل والأرمل . أحمده حمدا ممدودا مداه ، وأوحده كما وحده الأواه ، وهو الله لا إله للأمم سواه ، ولاصادع لما عدله وسواه . أرسل محمدا علما للإسلام ، وإماما للحكام ، ومسددا للرعاع ، ومعطلا أحكام ود وسواع ، أعلم وعلم ، وحكم وأحكم ، وأصل الأصول ومهد ، وأكد الوعود وأوعد . واصل الله له الإكرام ، وأودع روحه دار السلام ، ورحم آله وأهله الكرام ، مالمع آل ، وملع رال ، وطلع هلال ، وسمع إهلال . اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال ، واسلكوا مسالك الحلال ، واطرحوا الحرام ودعوه ، واسمعوا أمر الله وعوه . وصلوا الأرحام وراعوها ، وعاصوا الأهواء واردعوها ، وصاهروا لحم الصلاح والورع ، وصارموا رهط اللهو والطمع . ومصاهركم أطهر الأحرار مولدا ، وأسراهم سؤددا ، وأحلاهم موردا ، وأصحهم موعدا . وهاهو أمكم وحل حرمكم ، مملكا عروسكم المكرمه ، وماهرا لهاكما مهر الرسول أم سلمه . وهو أكرم صهر أودع الأولاد ، وملك من أراد ، وماسها مملكه ولاوهم ، ولاوكس ملاحمه ولاوصم . أسأل الله لكم إحماد وصاله ، ودوام إسعاده . وألهم كلا إصلاح حاله والإعداد لمعاده ، وله الحمد السرمد ، والمدح لرسوله محمد .

﴿ الفائدة الثلاثون ﴾

من المقامة الثلاثين ، التي تعرف بالصورية . قال فيها : والذي خلقها طباقا ، وطبقها إشراقا ، لاذقت لماقا ولا لُست رقاقا ، أوتخبرني أين مدب صَباك ، ومن أين مهب صِباك ؟ فتنفس الصعداء مرارا ، وأرسل البكاء مدرارا ، حتى إذا استنزف الدمع ؛ استنصت الجمع وقال لي : أرعني السمع :

مسقط الرأس سروج	وبها كنت أمـــوج
بلدة يوجـــــــد فيها	كل شيء ويـــروج
وردها من سلسبيل	وصحاريها مـــــروج
وبنوها ومغانيـــــــــ	ـهم نجـــوم وبروج
حبذا نفحة ريـــــــا	ها ومـــرآها البهيج
وأزاهير رباهـــــــا	حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى	جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عـــــنها	زفـــرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ زحـ	ـزحني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجـــــو	كلما قر بهيـــــج
وهموم كل يــــــوم	خطبها خطب مريج
ومساع في الـــترجي	قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لمــــــا	حم لي منها الخروج

(قال كاتبها الفقير إلى الله : احمد بن عمر العطاس : هذه الخطبة لم يوردها سيدنا الإمام علي بن حسن في هذا الكتاب ، وقد استحسنت

نقلها هنا لجزالة ألفاظها وقوة بلاغتها تبركا وتيمنا بها لما تحويه من حكم ومواعظ ونصائح وهي هذه :

الحمد لله المبتدئ بالإفضال ، المبتدع للنوال ، المتقرب إليه بالسؤال ، المؤمل لتحقيق الآمال ، الذي شرع الزكاة في الأموال ، وزجر عن نهر السؤال ، وندب إلى مؤاساة المضطر ، وأمر بإطعام القانع والمعتر ، ووصف عباده المقربين في كتابه المبين ، فقال وهو أصدق القائلين ﴿ **وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ [الآية ١٩ الذاريات] أحمده على مارزق من طعمة هنية ، وأعوذ به من استماع دعوة بلا نية ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، إلها يجزي المتصدقين والمتصدقات ، ويمحق الربا ويربي الصدقات . وأشهد أن محمدا عبده الرحيم ، ورسوله الكريم . ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء ، وينتصف للفقراء من الأغنياء ، فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين ، وخفض جناحه للمستكين ، وفرض الحقوق في أموال المثرين ، وبين مايجب للمقلين على المكثرين . صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة ، وعلى أصفيائه أهل الصفة . أما بعد : فإن الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا ، وسن التناسل لكي تتضاعفوا ، فقال سبحانه لتعرفوا : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾ . [الآية ١٣ الحجرات] إلى آخرها .)

﴿ الفائدة الحادية والثلاثون ﴾

من المقامة الحادية والثلاثين ، التي تعرف : بالرملية . قال في أولها : حكى الحارث بن همام قال : كنت في عنفوان الشباب ، وريعان العيش اللباب ، أقلي الإكتنان بالغاب ، وأهوى الإندلاق من القراب . لعلمي ان السفر ينفج السُفر وينتج الظفر ، ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتحقر من قطن . فأجلت قداح الإستشارة ، واقتدحت زناد الإستخارة ، ثم استجشت جأشا أثبت من الحجارة ، وأصعدت إلى ساحل الشام للتجارة . (فلما خيمت بالرملة ، وألقيت بها عصا الرحلة ، صادفت بها ركابا تعد للسرى ، ورحالا تشد إلى أم القرى . فعصفت بي ريح الغرام ،واهتاج لي شوق إلى البيت الحرام ، فزممت ناقتي ، ونبذت علقي وعلاقتي :

وقلت للائمي أقصر فإني   سأختار المقام على المقام
وأنفق ماجمعت بأرض جمع   وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل ، لهم في السير جرية الخيل ، وإلى الخير جري الخيل . فلم نزل بين إدلاج وتأويب ، وإيجاف وتقريب ، إلى أن حبتنا أيدي المطايا بالتحفة ، في إيصالنا إلى الجحفة . فحللناها متأهبين للإحرام ، متباشرين بإدراك المرام . فلم يك إلا أن انخنا بها الركائب ، وحططنا الحقائب ، حتى طلع علينا من بين الهضاب ، شخص ضاحي الإهاب ، وهو ينادي : يا أهل ذا النادي ! هلم إلى ماينجي يوم التنادي ! فانخرط إليه الحجيج وانصلتوا ، واحتفوا به وأنصتوا . فلما رأى تأثقهم حوله ؛ واستعظامهم قوله ، تسنم إحدى الآكام ، ثم تنحنح مستفتحا للكلام . وقال : يامعشر الحجاج ، الناسلين من الفجاج ،

أتعقلون ماتواجهون وإلى من تتوجهون ؟ أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون ؟ أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل ، وقطع المراحل ، واتخاذ المحامل ، وإيقار الزوامل ! أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان ؛ وإنضاء الأبدان ، ومفارقة الولدان ، والتنائي عن البلدان ! كلا والله ، بل هو اجتناب الخطيئة قبل اجتلاب المطية ، وإخلاص النية في قصد تلك البنية . وإمحاض الطاعة عند وجدان الإستطاعة . وإصلاح المعاملات أمام إعمال اليعملات . فو الذي شرع المناسك للناسك ؛ وأرشد السالك في الليل الحالك ، ماينقي الإغتسال بالذنوب من الإنغماس في الذنوب ! ولاتعدل تعرية الأجسام بتعبية الأجرام ، ولاتغني لبسة الإحرام عن المتلبس بالحرام . ولاينفع الإضطباع بالإزار ، مع الإضطلاع بالأوزار . ولايجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق . ولايرحض التنسك في التقصير دون التمسك بالتقصير . ولايسعد بعرفة غير أهل المعرفة . ولايزكو بالخيف من يرغب في الحيف . ولايشهد المقام إلا من استقام . ولايحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة . فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه إلى الصفا . وورد شريعة الرضى قبل شروعه على الأضا . ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه . وفاض بمعروفه قبل الإفاضة من تعريفه .

ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم ، وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد :

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجـــا ولا اعتيامك أجمالاوأحداجـــا
الحج أن تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تقضي به حاجـــا

وتمتطي كاهل الإنصاف متخــذا ردع الهوى هـــاديا والحق منهاجا
وأن تؤاسي ما أوتيت مقـــدرة من مد كفا إلى جـــدواك محتاجا
فهذه إن حوتها حجــــة كملت وإن خلا الحـــج منها كان إخداجا
حسب المرائين غبنا أنهم غرســوا وماجنوا ولقوا كـــدا وإزعاجا
وأنهم حرموا أجرا ومحـــمدة وألحموا عرضهم من عاب أوهاجى
أخي فأبغ بما تبديه من قـــرب وجه المهيمن ولاجا وخـــراجا
فليس تخفى على الرحمن خافـــية إن أخلص العبد في الطاعات أوداجى
وبادر الموت بالحسنى تقدمـــها فما ينهنه داعي المـــوت إن فاجا
واقن التواضع خلقا لا تزايلـــه عنك الليـالي ولو ألبسنك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقـــه ولو تراءى هتـــون السكب ثجاجا
ما كل داع بأهل أن يصاخ لـــه كم قد أصم بنعي بعـــض من ناجى
وما اللبيب سوى من بات مقتنعا ببلغة تدرج الأيـام إدراجـــــا
فكل كثر إلى قل مغبـــــته وكل ناز إلى لين وإن هـاجـــا

*****

﴿ الفائدة الثانية والثلاثون ﴾

من المقامة الثانية والثلاثين التي تعرف بالحرمية (وفي النسخة المقامات الأم تسمى الطيبية) ذات المسائل الفقهية .

(ننقل منها هذه المسألة الفقهية لما فيها من غرائب وعجائب . قال فيها : إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتحلت منهم مائة فتيا ، فإن كنت

ممن يرغب عن بنات غير ؛ ويرغب منا في مير . فاستمع وأجب لتقابل بما يجب ! فقال : الله أكبر سيبين المخبر ، وينكشف المضمر ، فاصدع بما تؤمر . قال : ماتقول في من توضأ ثم لمس ظهر نعله ؟ قال : انتقض وضوءه بفعله . [النعل الزوجة] قال : فإن توضأ ثم اتكاه البرد ؟ قال يجدد الوضوء من بعد . [البرد النوم] قال : أيمسح المتوضئ أنثييه ؟ قال : قد ندب إليه ولم يوجب عليه . [الأنثيان الأذنان] قال : أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان ؟ قال : وهل أنظف منه للعريان . [الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي] قال : أيستباح ماء الضرير ؟ قال : نعم ويجتنب ماء البصير . [الضرير حرف الوادي ، والبصير الكلب] قال : أيحل التطوف في الربيع ؟ قال : يكره ذاك للحدث الشنيع . [التطوف التغوط والربيع النهر الصغير] قال : أيجب الغسل على من أمنى ؟ قال : لاولو ثنى . [أمنى نزل مِنى ، ويقال منه : منى وأمنى وامتنى] قال : فهل يجب على الجنب غسل فروته ؟ قال : أجل وغسل إبرته . [الفروة جلدة الرأس ، والإبرة عظم المرفق] قال : أيجب عليه غسل صحيفته ؟ قال : نعم كغسل شفته . [الصحيفة أسرة الوجه] قال : فإن أخل بغسل فأسه ؟ قال : هو كما لو ألغى غسل رأسه [الفاس : العظم المشرف على نقرة القفا] قال : أيجوز الغسل في الجراب ؟ قال : هو كالغسل في الجباب . [الجراب جوف البئر] قال : فما تقول في من تيمم ثم رأى روضا ؟ قال : بطل تيممه فليتوضأ [الروض هنا جمع روضة ، وهي الصبابة تبقى في الحوض] قال : أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة ؟ قال : نعم وليجانب القذرة . [العذرة

فناء الدار] قال : فهل له السجود على الخلاف ؟ قال : لا ولا على أحد الأطراف . [الخلاف الكم] قال : فإن سجد على شماله ؟ قال : لابأس بفعاله . [الشمال جمع شملة] قال : فهل يجوز السجود على الكراع ؟ قال : نعم دون الذراع . [الكراع ما استطال من الحرة ، وهي أرض ذات حجارة سود] قال : أيصلي على رأس الكلب ؟ قال : نعم كسائر الهضب . [رأس الكلب ثنية معروفة] قال : أيجوز للدارس حمل المصاحف ؟ قال : لا ولا حملها في الملاحف . [الدارس الحائض] قال : ماتقول في من صلى وعانته بارزة ؟ قال : صلاته جائزة . [العانة الجماعة من حمرالوحش] قال : فإن صلى وعليه صوم ؟ قال : يعيد ولو صلى مائة يوم . [الصوم ذرق النعام] قال : فإن حمل جروا وصلى ؟ قال : هو كما لوحمل باقلا . [الجرو الصغار من القثاء والرمان] قال : أتصح صلاة حامل القروة ؟ قال : لا ولو صلى فوق المروة . [القروة مبلغة الكلب] قال : فإن قطر على ثوب المصلي نجو ؟ قال : يمضي في صلاته ولاغرو . [النجو السحاب الذي قد هراق ماؤه] قال : أيجوز أن يؤم الرجال مقنع ؟ قال : نعم ويؤمهم مدرع . [المقنع لابس المغفر ، والمدرع لابس الدرع] قال : فإن أمهم من في يده وقف ؟ قال : يعيدون ولو أنهم ألف . [الوقف السوار من العاج أوالذبل ، وأراد أنه لايجوز للرجال الائتمام بالنساء] قال : فإن أمهم من فخذه بادية ؟ قال صلاتهم ماضية . [الفخذ العشيرة ، وبادية أي يسكنون البدو ، واختار بعض أهل اللغة تسكين الخاء من هذا الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين العضو] قال : فإن أمهم الثور الأجم ؟ قال : صل

وخلاك ذم . [الثور السيد والأجم ، الذي لارمح معه] قال : أيدخل القصر في صلاة الشاهد ؟ قال : ولا الغائب الشاهد . [صلاة الشاهد : صلاة المغرب ، سميت بذلك لإقامتها عند طلوع النجم ، لأن النجم يسمى الشاهد] قال : أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان ؟ قال : مارخص إلا للصبيان . [المعذور المختون ، وهو أيضا المعذر] قال : فهل للمعرس أن يأكل فيه ؟ قال : بملء فيه . [المعرس : المسافر الذي ينزل في آخر ليله ليستريح ثم يرتحل] قال : فإن أفطر فيه العراة ؟ قال : لاتنكر عليهم الولاة . [العراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمى برعدة] قال : فإن أكل الصائم بعد ما أصبح ؟ قال : هو أحوط له وأصلح . [أصبح : أي استصبح بالمصباح] قال : فإن عمد لأن أكل ليلا ؟ قال : ليشمر للقضاء ذيلا . [ذكر ابن دريد ان الليل فرخ الحبارى . وقال غيره : هو ولد الكروان] قال : فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء ؟ قال : يلزمه والله القضاء . [البيضاء : من أسماء الشمس] قال : فإن استثار الصائم الكيد ؟ قال : أفطر ومن أحل الصيد . [الكيد : القيء ، واستثاره أي استدعاه] قال : أله ان يفطر بإلحاح الطابخ ؟ قال نعم لابطاهي المطابخ . [الطابخ : الحمى الصالب] قال : فإن ضحكت المرأة في صومها ؟ قال : بطل صومها . [ضحكت ههنا ، أي حاضت ، ومن قوله تعالى ﴿ **فضكحت وبشرناها بإسحاق** ﴾ قال : فإن ظهر الجدري على ضرتها ؟ قال : تفطر إن آذن بمضرتها . [الضرة : اصل الإبهام وأصل الثدي أيضا] قال : مايجب في مائة مصباح ؟ قال : حقتان ياصاح . [المصباح : الناقة التي

تصبح في المبرك] قال : فإن ملك عشر خناجر ؟ قال : يخرج شاتين ولايشاجر . [الخناجر : النوق الغزار الدر ، واحدتها خنجر وخنجور] قال : فإن سمح للساعي بحميمته ؟ قال : يابشرى له يوم قيامته . [الساعي : جابي الصدقة ، والحميمة خيار المال] قال : أيستحق حملة الأوزار من الذكاة جزاً ؟ قال نعم إذا كانوا غزى . [الأوزار : السلاح ، وغزى جمع غاز] قال : أيجوز للحاج أن يعتمر ؟ قال : لا ولا أن يختمر . [الإعتمار : لبس العمارة ، وهي العمامة ، والإختمار لبس الخمار] قال : فهل له أن يقتل الشجاع ؟ قال نعم كما يقتل السباع . [الشجاع : الحية] قال : فإن قتل زمارة في الحرم ؟ قال عليه بدنة من النعم . [الزمارة : النعامة ، واسم صوتها الزمار] قال : فإن رمى ساق حر فجدله ؟ قال : يخرج شاة بدله [ساق حر : ذكر القماري] قال : فإن قتل أم عوف بعد الإحرام ؟ قال : يتصدق بقبضة من طعام . [أم عوف الجرادة] قال : أيجب على الحاج استصحاب القارب ؟ قال نعم ليسوقهم إلى المشارب . [القارب : طالب الماء بالليل] قال : ماتقول في الحرام بعد السبت ؟ قال : قد حل في ذلك الوقت . [الحرام : المحرم ، والسبت حلق الرأس ، وحل من تحليل الحج] قال : ماتقول في بيع الكميت ؟ قال : حرام كبيع الميت . [الكميت : الخمر] قال : أيجوز بيع الخل بلحم الجمل ؟ قال : ولابلحم الحمل . [الخل : ابن المخاض ، ولايحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه أو من غير جنسه] قال : أيحل بيع الهدية ؟ قال : لا ولا بيع السبية . [الهدية : بالتشديد مايهدى إلى الكعبة ، ويقال فيها : هديه بتسكين الدال

وتخفيف الياء . والسبية : الخمر] قال : ماتقول في بيع العقيقة ؟ قال : محظور على الحقيقة . [العقيقة : مايذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته] قال : أيجوز بيع الداعي على الراعي ؟ قال : لا ولا على الساعي . [الداعي : بقية اللبن في الضرع ، والساعي : جابي الصدقة] قال : أيباع الصقر بالتمر ؟ قال : لا ومالك الخلق والأمر . [الصقر : الدبس] قال : أيشتري المسلم سلب المسلمات ؟ قال : نعم ويورث عنه إذا مات [السلب : لحاء الشجر ، وهو أيضا خوص الثمام] قال : فهل يجوز أن يبتاع الشافع ؟ قال ماالجوازه من دافع [الشافع : الشاة التي يتبعها سخلها] قال : أيباع الإبريق على بني الأصفر ؟ قال يكره كبيع المغفر . [الإبريق : السيف الصقيل الكثير الماء ، وبنو الأصفر الروم] قال : أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه ؟ قال : لا ولكن ليبع صقيه . [الصيفي : الولد على الكبر ، والصفي : الناقة الغزيرة الدر] قال : فإن اشترى عبدا فبان بأمه جراح ؟ قال : مافي رده من جناح . [الأم : مجتمع الدماغ] قال : أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء ؟ قال : لا ولاللشريك في الصفراء . [الصحراء : الأتان الذي يمازج بياضها غبرة ، والصفراء : الناقة] قال : أيحل أن يحمى ماء البئر والخلا ؟ قال : إن كان في الفلا فلا [يحمي : يمنع ، والخلا الكلا] قال : ماتقول في ميتة الكافر ؟ قال حل للمقيم والمسافر . [الكافر : البحر ، وميتته السمك الطافي فوق مائه] قال : أيجوز أن يضحى بالحول ؟ قال : هو أجدر بالقبول . [الحول جمع حائل] قال : فهل يضحى بالطالق ؟ قال : نعم ويقري منها الطارق . [الطالق : الناقة ترسل ترعى

حيث شاءت] قال : فإن ضحى قبل ظهور الغزالة ؟ قال : شاة لحم بلا محالة . [الغزالة الشمس . قال بعضهم : يقال طلعت الغزالة ولايقال غربت ، وضدها الجونة تسمى بها عند مغيبها ، لأنها تسود حين تغيب كما قال الشاعر : تبادر الجونة أن تغيبا] قال : أيحل التكسب بالطرق : قال : هو كالقمار بلا فرق . [الطرق : ضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة] قال : أيسلم القائم على القاعد ؟ قال : محظور فيما بين الأباعد . [القاعد : التي قعدت عن الحيض أوعن الأزواج] قال : أينام العاقل تحت الرفيع ؟ قال : أحبب به في البقيع . [الرفيع السماء ، وعني بالبقيع بقيع المدينة] قال : أيمنع الذمي من قتل العجوز ؟ قال : معارضته لاتجوز . [العجوز : الخمر ، وقتلها مزجها] قال : أيجوز أن ينتقل الرجل عن عمارة أبيه ؟ قال : ماجوز لخامل ولانبيه . [العمارة : القبيلة] قال : ماتقول في التهود ؟ قال : هو مفتاح التزهد [التهود : التوبة . ومنه قوله تعالى ﴿ **إنا هدنا إليك** ﴾] قال : ماتقول في صبر البلية ؟ قال : أعظم به من خطيئة [الصبر : الحبس ، والبلية : الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلاتسقى ولاتعلف إلى أن تموت . وكانت الجاهلية تزعم أن صاحبها يحشر عليها] قال : أيحل ضرب السفير ؟ قال : نعم والحمل على المستشير . [السفير : ماتساقط من ورق الشجر ، والمستشير : الجمل السمين وهو أيضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل] قال : أيعزر الرجل أباه ؟ قال : يفعله البر ولاياباه . [التعزير : التعظيم والنصرة والتوقير] قال : ماتقول في من أفقر أخاه ؟ قال : حبذا ماتوخاه . [أفقره : أعاره ناقة يركب فقارها] قال : فإن

أعرى ولده ؟ قال : ياحسن ما اعتمده [أعراه : أعطاه ثمرة نخلة عاما] قال : فإن أصلى مملوكه النار ؟ قال : لا إثم عليه ولاعار [المملوك : العجين الذي قد أجيد عجنه حتى قوي] قال : أيجوز للمرأة أن تصرم بعلها ؟ قال : ماحظر أحد فعلها [البعل : النخل الذي يشرب بعروقه من الأرض] قال : فهل تؤدب المرأة على الخجل ؟ قال : أجل . [الخجل سوء احتمال الغنى ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للنساء : إنكن إذا جعتن دفعتن ، وإذا شبعتن خجلتن] قال : ماتقول في من نحت أثلة أخيه ؟ قال : أثم ولو أذن له فيه . [نحت أثلته : إذا اغتابه وقدح في عرضه] قال : أيحجر الحاكم على صاحب الثور ؟ قال : نعم ليأمن غائلة الجور . [الثور : الجنون] قال : فهل له أن يضرب على يد اليتيم ؟ قال : نعم إلى أن تستقيم [يقال ضرب على يده : إذا حجر عليه] قال : فهل يجوز أن يتخذ له ربضا ؟ قال : لا ولو كان له رضى . [الربض : الزوجة] قال : فمتى يبيع بدن السفيه ؟ قال : حين يرى له الحظ فيه [البدن : الدرع القصيرة] قال : فهل يجوز أن يبتاع له حشا ؟ قال : نعم إذا لم يكن مغشى [الحش : النخل المجتمع] قال : أيجوز أن يكون الحاكم ظالما ؟ قال : نعم إذا كان عالما [الظالم : الذي يشرب اللبن قبل أن يروب ويخرج زبده] قال : أيستقضى من ليست له بصيرة ؟ قال : نعم إذا حسنت منه السيرة [البصيرة : الترس] قال : فإن تعرى من العقل ؟ قال : ذاك عنوان الفضل [العقل : ضرب من الوشي] قال : فإن كان له زهو جبار ؟ قال : لا إنكار عليه ولا إكبار [الزهو : البسر المتلون ، والجبار : النخل الذي

فات اليد وضده القاعد] قال : أيجوز أن يكون الشاهد مريبا ؟ قال نعم إذا كان أريبا . [المريب : الذي يكثر عنده اللبن الرائب] قال : فإن بان أنه لاط ؟ قال : هو كما لو خاط [لاط الحوض : إذا طينه] قال : فإن عثر على أنه غربل ؟ قال : ترد شهادته ولاتقبل [غربل : أي قتل . ومنه قول الراجز : نرى الملوك حوله مغربله] قال : فإن وضح أنه مائن ؟ قال : هو له وصف زائن [المائن : هاهنا الذي يعول ، ويكفي المؤونة . من مان يمون ، لامان يمين] قال : مايجب على عابد الحق ؟ قال : يحلف بإله الخلق [العابد : ههنا الجاحد ، والحق الدين] قال : ماتقول في من فقأ عين بلبل عامدا ؟ قال : تفقأ عينه قولا واحدا . [البلبل : الرجل الخفيف] قال : فإن جرح قطاة امرأة فماتت ؟ قال : النفس بالنفس إذا فاتت [القطاة : مابين الوركين] قال : فإن ألقت الحامل حشيشا من ضربه ؟ قال : ليكفر بالإعتاق عن ذنبه [الحشيش : الجنين ملقى ميتا] قال : مايجب على المختفي في الشرع ؟ قال : القطع لإقامة الردع [المختفي : نباش القبور] قال : فما يصنع بمن سرق أساود الدار ؟ قال : يقطع إن ساوين ربع دينار [الأساود : الآلات المستعملة ، كالإجانة والقدر والجفنة] قال : فإن سرق ثمينا من ذهب ؟ قال : لاقطع كما لوغصب [الثمين : الثمن ، كما يقال في النصف نصيف ، وفي السدس سديس] قال : فإن بان على المرأة السرق ؟ قال : لاحرج عليه ولافرق [السرق : الحرير الأبيض] قال : أينعقد نكاح لم يشهده القواري ؟ قال : لا والخالق الباري [القواري : الشهود ، لأنهم يقرون الأشياء ، أي يتتبعونها] قال : ماتقول في

عروس باتت بليلة حرة ، ثم ردت في حافرتها بسحرة ؟ قال : يجب لها نصف الصداق ولاتلزمها عدة الطلاق [يقال : باتت العروس بليلة حرة إذا امتنعت على زوجها ، فإن كان افتضها قبل باتت بليلة شيباء ، والرد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الأول ، وكنى به عن طلاقها وردها إلى أهلها] فقال له السائل : لله درك من بحر لايغضضه الماتح ، وحبر لايبلغ مدحه المادح .)

ثم قال في آخرها ، بعد إنقضاء جواهرها : قال الحارث بن همام : فاعترضته وقلت له : عهدي بك سفيها فمتى صرت فقيها ! فظل هنيهة يجول ، ثم أنشد يقول :

لبست لكل زمان لبــوسا ولابست صرفية نعمى وبوسا
وعـاشرت كل جليس بمـا يلائمــــــه لأروق الجليسا
فعند الرواة أدير الكــلام وبين السقاة أديــر الكؤوسا
وطورا بوعظي أسيل الدموع وطورا بلهـــوي أسر النفوسا
وأقري المسامع إما نطقت بيانا يقـــود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعف كفي اليراع فساقط درا يحلي الطروسا
وكم مشكلات حكين السهى خفاه فصرن بكشفي شموسا
وكم ملح لي خلبن العقول وأسأرن في كل قلب رسيسا
وعذراء فهت بها فانثنى عليها الثناء طليقا حبيسا
على أنني من زمان خصصت بكيد ولاكيد فرعون موسى
يسعر لي كل يوم وغى أطا من لظاها وطيسا وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي يذبن القوى ويشبن الرؤوسا
ويدني إلي البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيسا
ولولا خساسة أخلاقه لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له : خفض الأحزان ولاتلم الزمان ، واشكر لمن نقلك من مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس . فقال : دع الهتار ؛ ولاتهتك الأستار . وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب ، فعسى أن نرحض بالمزار دون الأوزار .

﴿ الفائدة الثالثة والثلاثون ﴾

من المقامة الثالثة والثلاثين ، التي تعرف بالتفليسية ، ذات الجمل الأنسية . قال فيها :

برز شيخ بادي اللقوة ؛ بالي الكسوة والقوة ، فقال : عزمت على من خُلق من طينة الحرية ؛ وتفوق در العصبية ، إلا ماتكلف لي لبثة ؛ واستمع مني نفثة ، ثم له الخيار من بعد ؛ وبيده البذل والرد . فعقد له

القوم الحبى ؛ ورسوا أمثال الربى ، فلما آنس حسن إنصاتهم ورزانة حصاتهم ، قال : يا أولي الأبصار الرامقة ، والبصائر الرائقة ، أما يغني عن الخبر العيان ؛ وينبئ عن النار الدخان ، شيب لائح ، ووهن فادح ، وداء واضح ، والباطن فاضح . ولقد كنت والله ممن ملك ومال ، وولي ووال ، ورفد وأنال ، ووصل وصال . فلم تزل الجوائح تسحت ، والنوائب تنحت ، حتى الوكر قفر ؛ والكف صفر ، والشعار ضر ؛ والعيش مر ، والصبية يتضاغون من الطوى ؛ ويتمنون مصاصة النوى . ولم أقم هذا المقام الشائن ؛ وأكشف لكم الدفائن ، إلا بعد ماشقيت ولقيت ؛ وشبت مما لقيت ، فليتني لم أكن بقيت . ثم تأوه تأوه الأسيف ، وأنشد بصوت ضعيف :

أشكو إلى الرحمن سبحانه — تقلب الدهـــــروعدوانه
وحادثات قرعت مروتي — وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي وياويل من — تهتصر الأحداث أغصانه
وأمحلت ربعي حتى جلت — من ربعي الممحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائـــــرا — أكابد الفقر وأشجـــــانه
من بعد ماكنت أخا ثروة — يسحب في النعمة أردانه
يختبط العافون أوراقـــه — ويحمد السارون نيرانـــه
فأصبح اليوم كأن لم يكـن — أعانه الدهر الذي عـــانه
وأزور من كان له زائـــرا — وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يحزنه مايــــرى — من ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي هـــمه — ويصلح الشان الذي شانه

﴿ الفائدة الرابعة والثلاثون ﴾

من المقامة الرابعة والثلاثين التي تعرف بالزبيدية . قال في آخرها : ماذهب من مالك ماوعظك ؛ ولا أجرم إليك من أيقظك . فاتعظ بما نابك ؛ وكاتم أصحابك ما أصابك . وتذكر أبدا مادهمك ، لتقي الذكرى دراهمك . وتخلق بخلق من ابتلي فصبر ، وتجلت له العبر فاعتبر . قال الحارث بن همام : فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ؛ ساحبا ذيلي الغبن والغبن . ونويت مكاشفة أبي زيد بالهجر ، ومصارمته يد الدهر ، فجعلت أتنكب عن ذراه ، وأتجنب أن أراه . إلى أن غشيني في طريق ضيق ؛ فحياني تحية شيق ، فمازدت على أن عبست ومانبست . فقال : مابالك شمخت بأنفك على إلفك ؟ فقلت : أنسيت أنك احتلت وختلت ، وفعلت فعلتك التي فعلت ! فأضرط بي متهازيا ، ثم أنشد متلافيا :

يا من بدا منه صدو   د موحش وتجهم
وغدا يريش ملاوما   من دونهن الأسهم
ويقول هل حر يبا   ع كما يباع الأدهم
أقصر فما أنا فيه بد   عا مثلما تتوهم
قد باعت الأسباط قبـ   ـلي يوسفا وهم هم
هذا وأقسم بالتي   يسري إليها المتهم
والطائفين بها وهم   شعث النواصي سهم

ماقمت ذاك الموقف الـ ـمخزي وعندي درهم
فاعذر أخاك وكف عـ ـنه ملام من لايفـــهم

ثم قال : أما معذرتي فقد لاحت ؛ وأما دراهمك فقد طاحت . فإن كان اقشعرارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك على غير نفقتك ؛ فلست ممن يلسع مرتين ؛ ويؤطي على جمرتين . وإن كنت طويت كشحك وأطعت شحك لتستنقذ ماعلق بأشراكي ، فلتبك على عقلك البواكي . قال الحارث بن همام : فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب ؛ إلى أن عدت له صفيا ، وبه حفيا . ونبذت فعلته ظهريا ، وإن كانت شيئا فريا .

﴿ الفائدة الخامسة والثلاثون ﴾

من المقامة الخامسة والثلاثين ، التي تعرف بالشيرازية . قال في أولها : حكى الحارث بن همام قال : مررت في تطوافي بشيراز ؛ على ناد يستوقف المجتاز ، ولوكان على أوفاز . فلم أستطع تعديه ؛ ولاخطت قدمي في تخطيه . فعجبت إليه لأسبك سر جوهره ؛ وأنظر كيف ثمره من زهره . فإذا أهله أفرادا ، والعائج إليهم مفادا . وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد ؛ وأطيب من حلب العناقيد ؛ إذا أحتف بنا ذو طمرين ، قد كان يناهز العمرين . فحيا بلسان طليق ؛ وأبان إبانة منطيق ! ثم احتبى حبوة المنتدين وقال : اللهم اجعلنا من المهتدين . فازدرأه القوم لطمريه ؛ ونسوا أن المرء بأصغريه .

﴿ الفائدة السادسة والثلاثون ﴾

من المقامة السادسة والثلاثين التي تعرف بالملطية . قال في آخرها شعراً :

كل شــعب لي شعب وبه ربعـــي رحب
غـير أني بســـروج مستهام القـلب صب
هي أرضي البكر والجو والذي فـــيه المهب
وإلى روضتها الغنـــاء دون الروض أصبو
ماحلا لي بعدها حلـــو ولا اعذوذب عذب

﴿ الفائدة السابعة والثلاثون ﴾

من المقامة السابعة والثلاثين التي تعرف بالصعدية . نقلتها برمتها الوردية ، لحلاوتها الفندية ، وطراوتها الفندية ، ووجازتها وإجادتها الشهيدية .

حكى الحارث بن همام قال : أصعدت إلى صعدة ؛ وأنا ذو شطاط يحكي الصعدة ، واشتداد يبدر بنات صعدة . فلما رأيت نضرتها ووعيت خضرتها ، سألت نحارير الرواة ، عمن تحويه من السراة . ومعادن الخيرات ، لأتخذه جذوة في الظلمات ونجدة في الظلامات . فنعت لي قاض بها رحيب الباع ؛ خصيب الرباع ، تميمي النسب والطباع . فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام ؛ وأتنفق عليه بالإجمام ، حتى صرت صدى صوته وسلمان بيته . وكنت مع اشتيار شهده وانتشاق ردنه ؛ أشهد مشاجر الخصوم ،

وأسفر بين المعصوم منهم والموصوم . فبينما القاضي جالس للإسجال في يوم المحفل والإحتفال ، إذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الإرتعاش ، فتبصر الحفل تبصر نقاد ، ثم زعم انه له خصما غير منقاد . فلم يكن إلا كضوء شرارة أووحي إشارة ، حتى أحضر غلاما كأنه ضرغام ، فقال الشيخ : أيد الله القاضي وعصمه من التغاضي . إن ابني هذا كالقلم الردي والسيف الصدي ، يجهل أوصاف الإنصاف ، ويرضع أخلاف الخلاف . إن أقدمت أحجم . وإذا أعربت أعجم . وإن أذكيت أخمد . ومتى شويت رمد . مع أني كفلته مذ دب إلى ان شب ، وكنت له ألطف من ربي ورب . فأكبر القاضي ماشكا إليه ، وأطرف به من حواليه ثم قال : أشهد ان العقوق أحد الثكلين ، ولرب عقم أقر للعين . فقال الغلام : وقد أمعضه هذا الكلام : والذي نصب القضاة للعدل ! وملكهم أعنة الفضل والفصل ! إنه مادعا قط إلا أمنت ، ولا أدعى إلا آمنت . ولالبى إلا وأحرمت . ولا أروى إلا وأضرمت . بيد أنه كمن يبغي بيض الأنوق ، ويطلب الطيران من النوق . فقال له القاضي : وبم أعنتك وامتحن طاعتك ؟ قال : إنه مذ صفر من المال ، ومني بالإمحال ، يسومني أن أتلمظ بالسؤال وأستمطر سحب النوال ، ليفيض شربه الذي غاض ، وينجبر من حاله ما انهاض . وقد كان حين أخذني بالدرس ، وعلمني أدب النفس ؛ أشرب قلبي أن الحرص متعبة ، والطمع معتبة ، والشره متخمة ، والمسألة ملامة . ثم أنشدني من فلق فيه ، ونحت قوافيه :

إرض بأدنى العيش واشكر عليه ... شكر مَن القــل كثير لديه

وجانب الحرص الذي لم يزل يحط قدر المتراقي إليه
وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ماناب من فاقة صبر أولي العزم واغمض عليه
ولاترق ماء المحيا ولو خولك المسؤول مافي يديه
فالحر من إن قذيت عينه أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن إذا أخلق ديباجه لم ير أن يخلق ديباجتيه

قال : فعبس الشيخ واكفهر ؛ واندرأ على ابنه وهر. وقال له : صه ياعقق ؛ يامن هو الشجى والشرق ! ويك أتعلم أمك البضاع ؛ وظئرك الإرضاع . لقد تحككت العقرب بالأفعى ، واستنت الفصال حتى القرعى . ثم كأنه ندم على مافرط من فيه ؛ وحدته المقة على تلافيه . فرنا إليه بعين عاطف ؛ وخفض له جناح ملاطف . وقال له : ويك يابني إن من أمر بالقناعة ؛ وزجر عن الضراعة ؛ هم أرباب البضاعة ، وأولوا المكسبة بالصناعة . فأما ذوو الضرورات ؛ فقد استثني بهم في المحظورات . وهبك جهلت هذا التأويل ولم يبلغك ماقيل ! ألست الذي عارض أباه ؛ في ماقال وماحاباه :

لاتقعدن على ضرومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها الشجر
فعد عما تشير الأغبياء به فأي فضل لعود ماله ثمر

وارحل ركابك عن ربع ظمئت بـه إلى الجناب الـذي يهمي به المطر
واستنزل الري من در السحاب فإن بلت يداك به فليهـــــنك الظـفر
وإن رددت فما في الرد منقصـــــة عليك قد رد موسى قبل والخضــر

قال : فلما أن رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله ، وتحليه بما ليس من أهله . نظر إليه بعين غضبى وقال : أتميميا مرة وقيسيا أخرى ؟ أف لمن ينقض مايقول ؛ ويتلون كما تتلون الغول . فقال الغلام : والذي جعلك مفتاحا للحق ؛ وفتاحا بين الخلق ، لقد أنسيت مذ أسيت ، وصديء ذهني مذ صديت . على أنه أين ألباب الفتح ، والعطاء السرح ؟ وهل بقي من يتبرع باللهى ، وإذا استطعم يقول ها ؟ فقال له القاضي : مه ! فمع الخواطئ سهم صائب ؛ وما كل برق خالب . فميز البروق إذا شمت ، ولاتشهد إلا بما علمت .

فلما تبين للشيخ أن القاضي قد غضب للكرام ، وأعظم تبخيل جميع الأنام ، علم انه سينصر كلمته ، ويظهر أكرومته . فما كذب أن نصب شبكته وشوى في الحريق سمكته ، وأنشأ يقول :

يا أيها القاضي الذي علمه وحلمه أرسخ من رضـــــوى
قد إدعى هذا على جهـله أن ليس في الدنيا أخو جدوى
ومادرى أنك من معشر عطاؤهم كالمن والســـــلوى
فجد بما يثنيه مستخزيا مما افترى من كـــذب الدعوى
وأثني جـــذلان أثني بما أوليت من جدوى ومن عدوى

قال : فهش القاضي لقوله ، واجزل له من طوله . ثم لفت وجهه إلى الغلام ؛ وقد نصل له أسهم الملام ، وقال له : أرأيت بطل زعمك وخطأ وهمك ! فلا تعجل بعدها بذم ، ولاتنحت عودا قبل عجم . وإياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك ؛ فإنك إن عدت تعقه ؛ حاق بك مني ماتستحقه . فسقط الفتى في يده ؛ ولاذ بحقو والده . ثم نهض يحفد ، وتبعه الشيخ ينشد :

من ضامه أوضاره دهره　　فليقصد القاضي في صعده
سماحه أزرى بمن قبله　　وعدله أتعب من بعده

قال الراوي : فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره ؛ إلى أن أحرورف لمسيره . فناجيت النفس باتباعه ولو إلى رباعه ، لعلي أظهر على أسراره ، وأعرف شجرة ناره . فنبذت العلق ؛ وانطلقت حيث انطلق . ولم يزل يخطو وأعتقب ، ويبعد وأقترب . إلى أن تراءى الشخصان ، وحق التعارف على الخلصان . فأبدى حينئذ الإهتشاش ، ورفع الإرتعاش ، وقال : من كاذب أخاه فلاعاش . فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة ، ولاحؤول حالة . فأسرعت إليه لأصافحه ؛ وأستعرف سانحه وبارحه ، فقال : دونك ابن أخيك البر ؛ وتركني ومر . فلم يعد الفتى أن افتر ، ثم فر كما فر . فعدت وقد استبنت عينهما ، ولكن أين هما ؟ .

﴿ الفائدة الثامنة والثلاثون ﴾

من المقامة الثامنة والثلاثين التي تعرف بالمروزية (وفي نسخة المقامات الأم : المروية) .قال أولها : حكى الحارث بن همام قال : حبب إلي مذ سعت قدمي ، ونفث قلمي ، أن أتخذ الأدب شرعة ؛ والإقتباس منه نجعة . فكنت أنقب عن أخباره وخزنة أسراره . (قال فيها شعراً :)

لاتحقرن أبيت اللعن ذا أدب ... لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولاتضع لأخي التأميل حرمته ... أكان ذا لسن أم كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا ... وانعش بغوثك من ألفيت منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد له ... ذكرا تناقله الركبان أوصيتا
وماعلى المشتري حمدا بموهبة ... غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولاالمروءة ضاق العذر من فطن ... إذا اشرأب إلى ماجاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جد ومن ... حب السماح ثنى نحو العلى ليتا
وماتنشق نشر الشكر ذوكرم ... إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما ... حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والسمح في الناس محبوب خلائقه ... والجامد الكف ماينفك ممقوتا
وللشحيح على أمواله علل ... يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب ... حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة ... من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر أنكد من أن تستمر به ... حال تكرهت تلك الحال أم شيتا

ثم قال في آخرها :

من يكن نال بالحماقة حظا ... أوسما قدره لطيب الأصول

فبفضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لابقــيولي

ثم قال : تعسا لمن جدب الأدب ، وطوبى لمن جد فيه ودأب . وودعني وذهب ، وأودعني اللهب .

﴿ الفائدة التاسعة والثلاثون ﴾

من المقامة التاسعة والثلاثين التي تعرف بالعمانية . قال فيها :

(إنا روينا في الأخبار المنقولة عن الأحبار ، أن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا . وإن معي لعوذة عن الأنبياء مأخوذة ، وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة . وماوسعني الكتمان ، ولامن خيمي الحرمان . فتدبروا القول وتفهموا ، واعملوا بما تعلمون وعلموا . ثم صاح صيحة المباهي وقال : أتدرون ماهي ؟ هي والله حرز السفر ، عند مسيرهم في البحر . والجُنة من الغم ، إذا جاش موج اليم . وبها استعصم نوح من الطوفان ، ونجا ومن معه من الحيوان ، على ماصدعت به آي القرآن .)

وقال في آخرها شعراً :

لاتصبون إلى وطـــن فيه تضام وتمــــتهن

وارحل عن الدار التي تغلي الوهاد على القــنن

واهرب إلى كِن يــقي ولو أنه حضنا حضــن

واربأ بنفسك أن تقيــ ـم بحيث يغشاك الدرن

وجب الــبلاد فأيها أرضاك فاختره وطــن

ودع التذكر للمعا هد والحنين إلى السكن
واعلم بأن الحر في أوطانه يلقى الغبن
كالدر في الأصداف يتستر رى ويبخس في الثمن

﴿ الفائدة الأربعون ﴾

من المقامة الأربعين التي تعرف بالتبريزية . نقلناها بمخملتها ، وجملناها بجملتها .

أخبر الحارث بن همام قال : أزمعت التبريز من تبريز ، حين نبت بالذليل والعزيز ، وخلت من المجير والمجيز . فبينا أنا في إعداد الأهبة وارتياد الصحبة ، ألفيت بها أبازيد السروجي ملتفا بكساء ؛ ومحتفا بنساء . فسألته عن خطبه وإلى أين يسرب مع سربه ؟ فأومأ إلى امرأة منهن باهرة السفور ؛ ظاهرة النفور ، وقال : تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة ؛ وترحض عني قشف العزبة ، فلقيت منها عرق القربة . تمطلني بحقي ؛ وتكلفني فوق طوقي . فأنا منها نضو وجى ، وحلف شجو وشجى . وهانحن قد تساعينا إلى الحاكم ؛ ليضرب على يد الظالم . فإن انتظم بيننا الوفاق ؛ وإلا فالطلاق والإنطلاق . قال : فملت إلى أن أخبر لمن الغلب ؛ وكيف يكون المنقلب . فجعلت شغلي دبر أذني ؛ وصحبتهما وإن كنت لا أغني . فلما حضر القاضي وكان ممن يرى فضل الإمساك ؛ ويضن بنفاثة السواك ، جثا أبو زيد بين يديه وقال : أيد الله القاضي وأحسن إليه . إن مطيتي هذه أبية القياد ؛ كثيرة الشراد . مع اني طوع لها من بنانها ؛ وأحنى عليها

من جنانها . فقال لها القاضي : ويحك ! أماعلمت أن النشوز يغضب الرب ؛ ويوجب الضرب ، فقالت : إنه ممن يدور خلف الدار ؛ ويأخذ الجار بالجار . فقال له القاضي : تبا لك ! أتبذر في السباخ ؛ وتستفرخ حيث لا إفراخ ؟ أعزب عني لانعم عوفك ؛ ولا أمن خوفك . فقال أبوزيد : إنها ومرسل الرياح ؛ لأكذب من سجاح . فقالت : بل هو ومن طوق الحمامة ؛ وجنح النعامة ؛ لأكذب من أبي ثمامة ، حين مخرق باليمامة . فزفر أبو زيد زفير الشواظ ، واستشاط استشاطة المغتاظ ، وقال لها : ويلك يادفار يافجار ، ياغصة البعل والجار . أتعمدين في الخلوة لتعذيبي ، وتبدين في الحفلة تكذيبي ! وقد علمت أني حين بنيت عليك ؛ ورنوت إليك ، ألفيتك اقبح من قردة ، وايبس من قدة . وأخشن من ليفة ، وأنتن من ديفة . وأثقل من هبيصة ، وأقذر من حيضة ، وأبرز من قشرة ، وأبرد من قرة ، وأحمق من رجله ، وأوسع من دجلة . فسترت عوارك ؛ ولم أبد عارك . على أنه لوحبتك شيرين بجمالها ؛ وزبيدة بمالها ؛ وبلقيس بعرشها ؛ وبوران بفرشها ؛ والزباء بملكها ؛ ورابعة بنسكها ؛ وخندف بفخرها ؛ والخنساء بشعرها في صخرها ! لأنفت أن تكوني قعيدة حلي وطروقة فحلي . قال : فتذمرت المرأة وتنمرت ، وحسرت عن ساعدها وشمرت ، وقالت له : يا ألأم من مادر ، وأشأم من قاشر ، وأجبن من صافر ، وأطيش من طامر ! أترميني بشنارك ؛ وتفري عرضي بشفارك ، وأنت تعلم انك أحقر من قلامة ، وأعيب من بغلة أبي دلامة . وأفضح من حبقة في حلقة ، وأحير من بقة في حقة . وهبك الحسن في وعظه ولفظه ، والشعبي في

علمه وحفظه . والخليل في عروضه ونحوه ، وجريرا في غزله وهجوه . وقسا في فصاحته وخطابته ، وعبد الحميد في بلاغته وكتابته . وأباعمرو في قراءته وإعرابه ، وابن قريب في روايته عن أعرابه . أتظنني أرضاك إماما لمحرابي ؛ وحساما لقرابي . لا والله ! ولابوابا لبابي ؛ ولاعصا لجرابي . فقال لهما القاضي : أراكما شنا وطبقة ؛ وجدأة وبندقة . فاترك ايها الرجل اللدد ؛ واسلك في سيرك الجدد . وأما انت فكفي عن سبابه ؛ وقري إذا أتى البيت من بابه . فقالت المرأة : والله ما أسجن عنه لساني إلا إذا كساني ؛ ولا أرفع له شراعي دون إشباعي . فحلف أبوزيد بالمحرجات الثلاث ؛ أنه لايملك سوى أطماره الرثاث . فنظر القاضي في قصصهما نظر الألمعي ، وأفكر فكرة اللوذعي . ثم أقبل عليهما بوجه قد قطبه ؛ ومجن قد قلبه ، وقال : ألم يكفكما التسافه في مجلس الحكم ؛ والإقدام على هذا الجرم ؟ حتى تراقيتما من فحش المقاذعة إلى خبث المخادعة . وأيم الله لقد أخطأت أستكما الحفرة ؛ ولم يصب سهمكما الثغرة . فإن أمير المؤمنين أعز الله ببقائه الدين ؛ نصبني لأقضي بين الخصماء لا لأقضي دين الغرماء . ووحق نعمته التي أحلتني هذا المحل ؛ وملكتني العقد والحل ؛ لئن لم توضحا لي جلية خطبكما ؛ وخبيئة خبكما ، لأنددن بكما في الأمصار ، ولأجعلنكما عبرة لأولي الأبصار . فأطرق أبوزيد إطراق الشجاع ؛ ثم قال له : سماع سماع :

أنا السروجي وهـذي عرسي وليس كفؤ الـبدر غير الشمس
وماتنافى أنسـها وأنسي ولاتنادى ديرهـا عن قسي

ولاعدت سقياي أرض غرسي لكننا منذ لـــــــــيال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي لانعرف المضــــغ ولا التحسي
حتى كأنا لخــــــفوت النفس أشباح مـــوتى نشروا من رمس
فحين عز الصــــبر والـتأسي وشقنا الضـــــــر الأليم المس
قمنا لسعد الجـــــد أو للنحس هذا المقام لاجــــــتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي إلى التحــــــلي في لباس اللبس
فهذه حالي وهــــــذا درسي فانظر إلى يومي وسل عن أمسي
وأمر بجبري إن تشـأ أوحبسي ففي يديك صحــــــتي ونكسي

فقال له القاضي : ليثب أنسك ؛ ولتطيب نفسك . فقد حق لك أن تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك . فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت ، وأشارت إلى الحاضرين وقالت :

يا أهل تـبريز لكم حــــاكم أوفى على الحكـــام تـبريزا
مافـيه من عيب ســـوى يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى عود له مازال مهـــــزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من جدواه تخصيصا وتميــــيزا
وردني أخيب من شـائم برقا خفا في شهر تمــــوزا
كأنه لم يــــــدر أني التي لقنت ذا الشيخ الأراجـيزا
وأنني إن شئت غـادرتـــه أضحوكة في أهل تــــبريزا

قال : فلما رأى القاضي اجتراء جنانها ؛ وانصلات لسانها ، علم أنه قد مني منهما بالداء العياء ؛ والداهية الدهياء . وأنه متى منح أحد الـزوجين

؛ وصرف الآخر صفر اليدين . وكان كمن قضى الدين بالدين ، أوصلى المغرب ركعتين . فطلسم وطرسم ؛ واخرنطم وبرطم ، وهمهم وغمغم . ثم التفت يمنة وشامة ؛ وتململ كآبة وندامة . وأخذ يذم القضاء ومتاعبه ؛ ويعد شوائبه ونوائبه ، ويفند طالبه وخاطبه . ثم تنفس كما يتنفس الحريب ، وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب . وقال : إن هذا لشيء عجيب . أرشق في موقف بسهمين ؟ أألزم في قضية بمغرمين ؟ أأطيق أن أرضي الخصمين ، ومن أين ومن أين ؟ ثم عطف إلى حاجبه المنفذ لمآربه ، وقال : ماهذا يوم حكم وقضاء ، وفصل وإمضاء . هذا يوم الإعتام ، هذا يوم الإغترام ، هذا يوم البحران ، هذا يوم الخسران ، هذا يوم عصيب ، هذا يوم نصاب فيه ولانصيب . فأرحني من هذين المهذارين ؛ واقطع لسانهما بدينارين . ثم فرق الأصحاب واغلق الباب ، وأشع أنه يوم مذموم ، وأن القاضي فيه مهموم ، لئلا يحضرني خصوم . قال : فأمن الحاجب على دعائه ؛ وتباكى لبكائه . ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين ، وقال : أشهد أنكما لأحيل الثقلين . لكن احترما مجالس الحكام ، واجتنبا فيها فحش الكلام . فماكل قاض قاضي تبريز ، ولا كل وقت تسمع الأراجيز . فقالا له : مثلك من حجب ، وشكرك قد وجب . ونهضا وقد حظيا بدينارين ، وأصليا قلب القاضي بنارين .

قال الملتقط تقبل الله منه : انتهت المقامة ، ومن أراد تفسيرها فهو في الأم أمامه ، فليقدم اقدامه ، وليقرع في طلبه أقدامه ، ويدع ما ادعى

في اقدامه ، عند بلاغة منشئ هذه المقامة ، ومابعدها من مقامات هذه المقامة .

(تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية)

قوله : لقيت منها عرق القربة . هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الأمر الذي يزاوله ، كما أن حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق . وقوله : جعلته دبر أذني . يعني طرحته . وهو كقوله تعالى ﴿ **فنبذوه وراء ظهورهم** ﴾ وقوله : أكذب من سجاح . يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب ، وسارت إليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به ، ووهبت نفسها له . وهذا الإسم مبني على الكسر ؛ مثل حذام وقطام ، لكونه من الأسماء المعدولة . واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة . ومنه قولهم : ملك فأسجح . وقولها : أكذب من أبي أمامة . هذه كنية مسيلمة الكذاب ، وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها إلى أن سار إليه خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتله . وقوله : لانعم عوفك . العوف الحال . ويقال للباني على أهله : نعم عوفك . وقوله : يادفار يافجار . هذان الإسمان معدولان عن دافرة وفاجرة . والدفر النتن ، وبه سميت الدنيا أم دفر . وكل ماسمي بصفة غالبة ثم عدل بها إلى فعال بني على الكسر عند النداء ، كقولك : يالكاع ، ياخباث ، يادفار ، يافجار . ولايجوز استعمال ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر كقول الحطيئة :

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع

وأما قوله : أحمق من رجله . فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها . وأما قولها : الأم من مادر . فهو رجل من بني هلال بن عامر ، كان اتخذ حوضا لسقي إبله ، فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده . وأما قولها : أشأم من قاشر . فإنه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيل المراد به العام المجدب . وسمي قاشرا لقشره ماعلى وجه الأرض من النبات . وأما قولها : أجبن من صافر . فقد اختلف في تفسيره ، فقال بعضهم عني به كل مايصفر من الطير ، وخص بالجبن لكثرة مايتقيه من جوارح الجو ومصائد الأرض . وقيل إنه طائر بعينه إذا أجنه الليل تعلق ببعض الأغصان ، ولم يزل يصفر طول ليلته خو فا على نفسه من أن ينام فيؤخذ . وقيل إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر على أمره . وقيل المراد به المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب . فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول ، كقوله تعالى ﴿ **من ماء دافق** ﴾ أي مدفوق . وكقولهم : راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم . وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى ﴿ **حجابا مستورا** ﴾ أي ساترا . وكقوله تعالى ﴿ **إنه كان وعده مأتيا** ﴾ واما قولها : أطيش من طامر . فالمراد به البرغوث ، ويسمى طامر بن طامر ، لكثرة وثوبه . وأما قول القاضي : أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة . فإنه أراد به أن كلا منكما كفء لصاحبه ومقاوم له ، ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه . أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم : وافق شن طبقة . فقال الأكثرون انهما قبيلتان ، فشن هو

ابن اقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وطبقة حي من إياد . وكانت طبقة لاتطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها . وقال بعضهم : كان شن رجلا من دهاة العرب ، وكان ألزم نفسه أن لايتزوج إلا بامرأة تلائمه ، فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته ، فصاحبه رجل في بعض أسفاره . فلما أخذ منهما السير قال له شن : أتحملني أم أحملك ؟ فقال له الرجل : ياجاهل وهل يحمل الراكب الراكب ! فأمسك وسارا حتى أتيا على زرع ، فقال له شن : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال له : ياجاهل اماتراه في سنبله . فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له شن : أترى صاحبها حيا أم لا ؟ فقال له : ما رأيت أجهل منك ! أتراهم حملوا إلى القبر حيا ! ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل فصار به إلى منزله ، وكانت له بنت تسمى طبقة ، فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له : مانطق إلا بالصواب ، ولااستفهمك إلا عما يستفهم عن مثله ذوو الألباب . أما قوله : أتحملني أم أحملك ؛ فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث . أما قوله : أترى هذا الزرع اكل أم لا ! فإنه أراد هل استسلف أربابه ثمنه أم لا . وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فإنه أراد به أخلف عقبا يحيي ذكره به أم لا ؟ . فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها إليه فزوجه إياها .فلما سار بها إلى قومه وخبروا مافيها من الدهاء والفطنة ، قالوا : وافق شن طبقة . فسار مثلا .

وحكي أن الأصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال : أظن الشن وعاء من أدم كان قد استشن ، فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب فيه هذا

المثل . وأماجدأة وبندقة ، فإنه يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدوه ، أويبلى بنظيره ِحدا حِدا ؛ وراءك بندقة . وكان الأصل حدأة بإثبات الهاء ، فرخم في النداء . وقد اختلف في المراد بهما ، فقيل الحدأة هو الطائر المعروف ، وبندقة الرامي . وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة ، فأغارت حدأة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة ، وكانت تنزل باليمن ، فنالت منهم ثم كرت بندقة على حدأة فأنحت عليهم . وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا ، غير مهموز على مثال عصا وقفا . وزعم أنه اسم القبيلة . وأما قوله : أخطأت استكما الحفرة . فإنه يضرب لمن يخطئ في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه . وأما قوله : طلسم وطرسم . فمعنى طلسم كره وجهه ، ومعنى طرسم أطرق . وقوله : اخرنطم وبرطم . أي غضب وقطب وجهه . وقيل معنى اخرنطم غضب مع تكبر ، ومعنى برطم غضب مع تعبس . وأما قوله : همهم وغمغم . أي لم يبين الكلام .)

﴿ الفائدة الحادية والأربعون ﴾

من المقامة الحادية والأربعين التي تعرف بالتنيسية . قال فيها : مسكين ابن آدم وأي مسكين ! ركن من الدنيا إلى غير ركين ، واستعصم منها بغير مكين ، وذبح من حبها بغير سكين . يكلف بها لغباوته ؛ ويكلب عليها لشقاوته ، ويعتد فيها لمفاخرته ، ولايتزود منها لآخرته . أقسم بمن مرج البحرين ، ونور القمرين ، ورفع قدرالحجرين ، لوعقل ابن آدم لما نادم ، ولو فكر في ماقدم لبكى الدم . ولوذكر المكافاة لاستدرك مافات . ولو

نظر في المآل لحسن قبح الأعمال . ياعجبا كل العجب ! لمن يقتحم ذات اللهب ، في اكتناز الذهب وخزن النشب ، لذوي النسب . ثم من البدع العجيب ؛ أن يعظك وخط المشيب ؛ وتؤذن شمسك بالمغيب ، ولست ترى أن تنيب وتهذب المعيب . ثم اندفع ينشد إنشاد من يرشد :

ياويح من أنـــــذره شيبه وهو على غي الصـــبا منمكش
يعشو إلى نار الهوى بعد ما أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعـــــتده أوطا مايفـــــترش المفترش
لم يهب الشيب الذي مارأى نجـــومه ذو اللب إلا دهش
ولا انتهى عما نـــهاه النهى عنه ولا بالى بعـــرض خدش
فذاك إن مات فسحقا لـه وإن يعش عُـــدَّ كأن لم يعش
لاخير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عـــرضه طيب يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنـــبه هلكت يامسكين أوتنــــتقش
فأخلص التوبة تطمس بـها من الخــطايا السود ماقد نقش
وعاشرالناس بخلـق رضي ودار من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحـر إن حصه زمانه لاكان مــــن لم يرش
وأنجد الموتـــور ظلـما فإن عجزت عن إنجـــاده فاستجش
وأنعش إذا ناداك ذوكـــبوة عساك في الحشر بـــه تنتعش

وهاك كأس النصح فاشرب وجد   بفضلة الكأس على من عطش

﴿ الفائدة الثانية والأربعون ﴾

من المقامة الثانية والأربعين التي تعرف بالنجرانية . قال أولها : حكى الحارث بن همام قال : ترامت بي مرامي النوى ومساوي الهوى ، إلى أن صرت ابن كل تربة ؛ وأخا كل غربة . إلا أني لم أكن أقطع واديا ؛ ولا أشهد ناديا ، إلا لإقتباس الأدب المسلي عن الأشجان ، المغلي قيمة الإنسان . حتى عرفت هذه الشنشنة ، وتناقلتها عني الألسنة . وصارت أعلق بي من الهوى ببني عذرة ، والشجاعة بآل أبي صفرة .

﴿ الفائدة الثالثة والأربعون ﴾

من المقامة الثالثة والأربعين التي تعرف : بالبدوية ، والخطبية ، والحضرمية . (وفي النسخة الأم : البكرية .) قال فيها :

كنت عزمت حين اتهمت على أن أتخذ ظعينة ؛ لتكون لي معينة . فحين تعين الخطب الملب وكاد الأمر يستتب ، أفكرت فكر المحترز من الوهم ، المتأمل كيف مسقط السهم . وبت ليلتي أناجي القلب المعذب ، وأقلب العزم المذبذب . إلى أن أجمعت على أن اسحر ، وأشاور أول من أبصر . فلما قوضت الظلمة أطنابها ، وولت الشهب أذنابها . غدوت غدو المتعرف ؛ وابتكرت ابتكار المتعيف . فانبرى لي يافع ، في وجهه شافع . فتيمنت بمنظره البهيج ، واستقدحت رأيه في التزويج . فقال : أوتبغيها عوانا

أم بكرا تعانى ؟ فقلت : اختر لي ماترى ! فقد ألقيت إليك العرى . فقال : إلي التبيين وعليك التعيين . فاسمع أنا أفديك ، بعد دفن أعاديك .

أما البكر : فالدرة المخزونة والبيضة المكنونة ، والباكورة الجنية ، والسلافة الهنية . والروضة الأنف ، والطوق الذي ثمن وشرف . لم يدنسها لامس ، ولااستغشاها لابس . ولامارسها عابث ، ولاوكسها طامث . ولها الوجه الحيي ، والطرف الخفي ، واللسان العيي ، والقلب النقي . ثم هي الدمية الملاعبة ، واللعبة المداعبة . والغزالة المغازلة ، والملحة الكاملة . والوشاح الطاهر القشيب ، والضجيع الذي يشب ولايشيب .

وأما الثيب : فالمطية المذللة ، واللهنة المعجلة ، والبغية المسهلة، والطبة المعللة . والقرينة المتحببة ، والخليلة المتقربة . والصناع المدبرة ، والفطنة المختبرة . ثم إنها عجالة الراكب ، وأنشوطة الخاطب . وقعدة العاجز ، ونهنزة المبارز . عريكتها لينة ، وعقلتها هينة ، ودخلتها متبينة ، وخدمتها مزينة . وأقسم لقد صدقت في النعتين ، وجلوت المهاتين ، فبأيتهما هام قلبك ؟

قال أبو زيد : فرأيته جندلة يتقيها المراجم ، وتدمى منها المحاجم . إلا أني قلت له : كنت سمعت أن البكر أشد حبا وأقل خبا . فقال : لعمري قد قيل هذا ، ولكن كم قول آذى . ويحك أما هي المهرة الأبية العنان ؛ والمطية البطية الإذعان . والزندة المتعسرة الإقتداح ، والقلعة المستعصبة الإفتتاح . ثم أن مؤونتها كثيرة ، ومعونتها يسيرة ، وعشرتها صلفة ، ودالتها

مطلفة . ويدها خرقاء ، وفتنتها صماء . وعريكتها خشناء ، وليلتها ليلاء . وفي رياضتها عناء ، وعلى خبرتها غشاء . وطالما أخزت المنازل ، وفركت المغازل ، واحنقت الهازل ، وأضرعت الفتيق البازل . ثم إنها التي تقول : أنا ألبس واجلس فاطلب من يطلق ويحبس .

فقلت له فماترى في الثيب يا أبا الطيب ؟ فقال : ويحك ! أترغب في فضالة المآكل ، وثمالة المناهل ، واللباس المستبدل والوعاء المستعمل . والذواقة المتطرفة ، والخراجة المتصرفة . والوقاح المتسلطة ، والمحتكرة المتسخطة . ثم كلمتها : كنت وصرت ، وطالما بغي علي فنصرت . وشتان بين اليوم وأمس ، وأين القمر من الشمس ؟ وإن كانت الحنانة البروك ، والطماحة الهلوك . فهي الغل القمل ، والجرح الذي لايندمل . فقلت له : فهل ترى أن أترهب واسلك هذا المذهب ؟ فانتهرني انتهار المؤدب ، عند زلة المتأدب . ثم قال : ويلك أتقتدي بالرهبان ، ولحق قد استبان . أف لك ولوهن رائك ، وتبا لك ولأولئك . أتراك ماسمعت بأن لارهبانية في الإسلام ! أوماحدثت بمناكح نبيك عليه أزكى السلام ! ثم أما تعلم ان القرينة الصالحة ترب بيتك ، وتلبي صوتك ، وتغض طرفك وتطيب عرفك . وبها ترى قرة عينك ، وريحانة أنفك ، وفرحة قلبك ، وخلد ذكرك ، وتعلة يومك وغدك . فكيف رغبت عن سنة سيد المرسلين ، ومتعة المتأهلين ، وشرعة المحصنين ، ومجلبة المال والبنين . والله لقد ساءني فيك ما سمعت من فيك .

ثم أعرض إعراض المغضب ، ونزا نزوان العنظب . فقلت له : قاتلك الله أتنطلق متبخترا وتدعني متحيرا ؟ فقال : أظنك تدعي الحيرة ، لتستغني عن المهيرة . فقلت له : قبح الله ظنك ، ولا أشب قرنك . ثم رحت عنه مرح الخزيان ، وتبت من مشاورة الصبيان .

قال الحارث بن همام : فقلت له : أقسم بمن أنبت الأيك ، أن الجدل منك وإليك . فأغرب في الضحك ، وطرب طربة المنهمك . ثم قال : العق العسل ولاتسل . فأخذت أسهب في مدح الأدب ، وأفضل ربه على ذي الشنب . وهو ينظر إلي نظر المستجهل ، ويغضي عني إغضاء المتمهل . فلما أفرطت في العصبية ، للعصبة الأدبية قال لي : صه ، واسمع مني وافقه :

يقـــولون إن جمال الفتى — وزينـــــــته أدب راسخ
وما أن يزين سوى المكثرين — ومن طود ســؤدده شامخ
فأما الفـقير فخـــــير له — من الأدب القـرص والكامخ
وأي جمال له أن يقـــال — أديب يعـــــلم أو ناسخ

﴿ الفائدة الرابعة والأربعون ﴾

من المقامة الرابعة والأربعين التي تعرف بالشتوية ، قال فيها شعراً :

عندي أعاجيب أرويها بلاكذب — عن العيان فكنوني أبا العجب
رأيت ياقوم أقواما غـــذاؤهم — بول العجوز وما أعني ابنة العنب
ومسنتين من الأعراب قوتهم — أن يشتووا خرقة تغني من السغب

وقادرين متى ما ساء صنعهم أوقصروا فيه قالوا الذنب للحطب
وكاتبين وما خطت أناملهم حرفا ولاقرأوا ما خط في الكتب
وتابعين عقابا في مسيرهمُ على تكميهم في البيض واليلب
ومنتدين ذوي نبل بدت لهمُ نبيلة فانثنوا منها إلى الهرب
وعصبةلم ترى البيت العتيق وقد حجت جثيا بلا شك على الركب
ونسوة بعد ما أدلجن من حلب صبحن كاظمة من غير ماتعب
ومدلجين سروا من أرض كاظمة فأ صبحوا حين لاح الصبح في حلب
ويافعا لم يلامس قط غانية شاهدته وله نسل من العقب
وشائبا غير مخف للمشيب بدا في البدو وهو فتي السن لم يشب
ومرضعا بلبان لم يفه فمه رأيته في شجار بين السبب
وزارعا ذرة حتى إذا حصدت صارت غبيراء يهواها أخو الطرب
وراكبا وهو مغلول على فرس قد غل أيضا وماينفك عن خبب
وذا يد طلق يقتاد راحلة مستعجلا وهو مأسور أخو كرب
وجالسا ماشيا تهوي مطيته به وما في الذي أوردت من ريب
وحائكا أجذم الكفين ذا خرس فإن عجبتم فكم في الخلق من عجب
وذا شطاط كصدر الرمح قامته صادفته بمنى يشكو من الحدب
وساعيا في مسرات الأنام يرى إفراحهم مأثما كالظلم والكذب
ومغرما بمناجات الرجال له وماله في حديث الخلق من أرب
وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولاذمام له في مذهب العرب
وذا قوى ما استبانت قط لينته ولينه مستبين غير محتجب

وساجدا فوق نحل غير مكترث		بما أتى بل يراه أفضل القــرب
وعاذرا مؤلما من ظل يعـــذره		مع التلطف والمعذور في صخب
وبلدة ما بها ماء لمغـــــترف		والماء يجري عليها جري منسرب
وقرية دون أفحوص القطا شحنت		بديلم عيشهم من خلسة السلب

وكوكبا يتوارى عنـــد رؤيته الإ نسان حتى يرى في أمنع الحجب
وروثة قومت مالا له خــــطر ونفس صاحبها بالمـال لم تطب
وصحفة من نظارخالص شريت بعد المكاس بقيراط من الذهب
ومستجيشا بخشخاش ليدفع ما أظله من أعــــاديه فلم يخب
وطال ما مر بي كلب وفي فمه ثور ولكـــــنه ثور بلا ذنب
وكم رأى ناظري فيلا على جمل وقد تورك فوق الرحل والقتب
وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا وما اشتكى قط في جد وفي لعب
وكنت أبصرت كرازا لراعـــية بالدو ينظر من عينين كالشهب
وكم رأت مقلتي عينين ماؤهما يجري من الغرب والعينان في حلب
وصادعا بالقنا من غير أن علقت كفاه يوما برمـــــح لاولم يثب
وكم نزلت بأرض لانخيل بـــها وبعد يوم رأيت البسر في القلب
وكم رأيت بأقطار الفلا طــبقا يطير في الجـو منصبا إلى نصب
وكم مشائخ في الدنيا رأيتــــهمُ مخلدين ومن ينجـو من العطب
وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا بمنطق ذلق أمضى مـن القضب
وكم دعاني مستنج فحادثـــــني وما أخـلَّ ولا أخلـلت بالأدب
وكم أنخت قلوصي تحت جنبذة تظل ماشئت من عجم ومن عرب
وكم نظرت إلى من سر ساعته ودمعه مستهل القطر كالسحب
وكم رأيت قميصا ضر صاحــبه حتى انثنى واهي الأعضاء والعصب
وكم إزار لو أن الدهر أتلــــفه لجف لبد حثيث السير مضطرب
هذا وكم من أفانين معجـــــبة عندي ومن مُلح تلهي ومن نخب

فإن فطنتم للحن القول بان لكم صدقي ودلكمُ طلعي على رطبي
وإن شدهتم فإن العار فيه على من لايميز بين العـود والخشب

قال في تفسير هذه القصيدة : بول العجوز : لبن البقرة ، والعجوز أيضا من أسماء الخمر . والخرقة : القطعة من الجراد . والقادر : الطابخ في القدر ، والقدير المطبوخ فيها . الكاتبون : الخرازون ، يقال : كتب السقاء والمزادة إذا خرزهما ، وكتب البغلة أوالناقة إذا جمع بين شفريها وخاطهما . قال الشاعر :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

العقاب : الرأية ، وكانت رأية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب . النبيلة : الجيفة ، ومنه تنبل البعير إذا مات وأروح ، يعني نتن . معنى حجت جثيا : أي غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب ، وجثى جمع جاث . كاظمة : في هذا الموضع من كظم الغيظ . في حلب : أي أصبحوا يحلبون اللبن . النسل : ههنا العدو ، قال تعالى ﴿ **وهم من كل حدب ينسلون** ﴾ والعقب مؤخر القدم . الشائب : ههنا مازج اللبن . والمشيب : اللبن الممزوج ، ويقال : مشيب ومشوب . الشجار : المحفة مالم تكن مظللة ؛ فإن ظللت فهو الهودج . والسبب : ههنا الحبل . ومنه قوله تعالى ﴿ **فليمدد بسبب إلى السماء** ﴾ الغبيراء : المسكر المتخذ من الذرة ، ويسمى أيضا السكركة . وفي الحديث : إياكم والغبيراء فإنها خمر العالم . المغلول : ههنا العطشان ، وغل أي عطش . المأسور : الذي يجد الأسر وهو احتباس البول . الجالس : الاتي نجدا ؛ والماشي الذي كثرت

ماشيته ، وعليه فسر بعضهم قوله تعالى ﴿ **أن امشوا** ﴾ كأنه دعاء لهم بكثرة الماشية والنماء والبركة . الحائك : ههنا الذي إذا مشى حرك منكبيه وفجج بين ركبتيه . الحدب : مارتفع من الأرض . إفراحهم : أثقالهم بالدين ، ومنه قوله عليه السلام : لايترك في الإسلام مفرح . أي مثقل من الدين أويقضى عنه دينه . الخلق : ههنا الكذب ، ومنه قوله تعالى ﴿ **إن هذا إلا خلق الأولين** ﴾ الذمام : الثاني جمع ذمة ؛ وهي البئر القليلة الماء ، وعني بالمذهب المسلك ، أي ماله آبار قليلة الماء في البدو . اللين : نخيل الدقل ، ومنه قوله تعالى ﴿ **ماقطعتم من لينة** ﴾ . الفحل : الحصير المتخذ من فحال النخل . العاذر : الخاتن ، والمعذور المختون . البلدة : الفرجة بين الحاجبين ، وتسمى أيضا البلجة . القرية : بيت النمل . والديلم : النمل الكثير . وخلسة السلب : لحاء الشجر . الكوكب : النكتة البيضاء التي تحدث في العين . والإنسان : ههنا إنسان العين . الروثة : مقدم الأنف . النضار : ههنا شجر النبع ، ومنه قول بعض التابعين : لابأس أن يشرب في قدح النضار ، عنى به هذا . الخشخاش : الجماعة عليهم دروع وأسلحة . الثور : القطعة من الأقط ، وهو نوع من الجبن . الفيل : الرجل الفائل الرأي . المشتكي : المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة . الكراز : كبش يحمل عليه الراعي أداته . الغرب : مجرى الدمع . والعينان : المقلتان . القنا : إرتفاع الأنف وتحدب وسطه . وصدع به : أي كشفه . البسر : جمع بسرة ؛ وهو الماء الحديث العهد بالمطر . والقلب : جمع قليب . الطبق : القطعة من الجراد . المخلد : الذي أبطأ شيبه . الوحش : الرجل الجائع .

المستنجي : الجالس على نجوة ؛ وهو المكان المرتفع . الجنبذة : القبة . والعُرب : جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها ، من قوله تعالى ﴿ **عربا أترابا** ﴾ سُر : أي قطع سرره ، ويسمى مايبقى بعد القطع السرة . القميص : الدابة الكثيرة القماص ؛ وهو الوثوب والقفز . الازار : المرأة ، ومنه قول الشاعر : فدى لك من أخى ثقة إزاري .

قال الملتقط عفا الله عنه وتقبل منه : رأيت في بعض الليالي كأن عندي جماعة من خواص الجماعة ، المساعدين بالنفاعة . وكأني أخاطبهم بقول الشيخ القاسم الحريري المذكور في أواخر هذا الشعر المنظور ، وهو قوله :

هذا وكم من أفانين محجبة — عندي ومن ملح تلهي ومن نخب
فإن فطنتم للحن القول بان لكم — صدقي ودلكم طلعي على رطبي
وإن شدهتم فإن العارفيه على — من لايميز بين العود والخشب

ورأيت أيضا مرة أخرى كأني أخاطب رجلا كان أولا من المساعدين ، ثم صار من المباعدين بقول الشيخ المذكور في بعض المقامات نثراً : لو علمتم أن ورى الفدام صفو المدام ، لما احتقرتم ذا أخلاق ، وقلتم ماله من خلاق .

﴿ الفائدة الخامسة والأربعون ﴾

من المقامة الخامسة والأربعين التي تعرف بالرملية . قال : حكى الحارث بن همام قال : كنت أخذت عن أولي التجاريب أن السفر مرآة

الأعاجيب ، فلم أزل أجوب كل تنوفة ؛ وأقتحم كل مخوفة ، حتى اجتلبت كل أطروفة . فمن أحسن مالمحته وأغرب مااستملحته ، أن حضرت قاضي الرملة ؛ وكان من أرباب الدولة والصولة . وقد ترافع إليه بال في بال ، وذات جمال في أسمال . فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام ، فمنعته الفتاة من الإفصاح ، وخسأته عن النباح . ثم نضت عنها فضلة الوشاح ؛ وأنشدت بلسان السليطة الوقاح :

ياقاضي الرملة ياذا الذي ... في يده الثمرة والجمرة
إليك أشكو جوربعلي الذي ... لم يحجج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه ... وخف ظهرا إذ رمى الجمرة
كان على رأي أبي يوسف ... في صلة الحجة بالعمرة
هذا على أني مذ ضمني ... إليه لم أعص له أمره
فمره إما إلفة حلوة ... ترضي وإما فرقة مرة
من قبل أن أخلع ثوب الحيا ... في طاعة الشيخ أبي مرة

فقال له القاضي : قد سمعت بما عزتك إليه ؛ وتوعدتك عليه . فجانب ماعرك وحاذر أن تفرك وتعرك . فجثا الشيخ على ثفِناته ، وفجر ينبوع نفثاته وقال :

إسمع عداك الذم قول امرء ... يوضح في مارابها عذره
والله ما أعرضت عنها قلى ... ولاهوى قلبي قضى نذره
وإنما الدهر عدا صرفه ... فابتزنا الدرة والذرة
فمنزلي قفركما جيدها ... عطل من الجزعة والشذرة

وكنت من قبل أرى في الهوى ودينه رأي بني عـــــذره
فمذ نبا الدهر هجــرت الدمى هجران عف آخـــذ حذره
وملت عن حرثي لارغـــبة عنه ولكن أتقي بـــــذره
فلا تلم من هذه حـــــاله واعطف عليه واحتمل هذره

قال : فالتظت المرأة من مقاله ، وانتضت الحجج لجداله وقالت له : ويلك يامرقعان ؛ يا من هو لاطعام ولاطعان ! أتضيق بالولد ذرعا ؛ ولكل أكولة مرعى . لقد ضل فهمك وأخطا سهمك ، وسفهت نفسك ، وشقيت بك عرسك . فقال لها القاضي : أما أنت فلو جادلت الخنساء لأنثنت عنك خرساء ، وأما هو فإن كان صدق في زعمه ودعوى عدمه ؛ فله في هم قبقبه مايشغله عن ذبذبه . فأطرقت تنظر إزورار ، ولاترجع حوار ، حتى قلنا قد راجعها الخفر ؛ أوحاق بها الظفر . فقال لها الشيخ : تعسا لك إن زخرفت ، أوكتمت ماعرفت . فقالت : ويحك ! وهل بعد المنافرة كتم ، أوبقي لنا على سر ختم ! وما فينا إلا من صدق ، وهتك صونه إذ نطق . فليتنا لاقينا البكم ؛ ولم نلق الحكم . ثم التفعت بوشاحها وتباكت لإفتضاحها . وجعل القاضي يعجب من خطبها ويُعجِّب ، ويلوم لهما الدهر ويؤنب . ثم أحضر من الورق ألفين وقال : أرضيا بهما الأجوفين ، وعاصيا النازع بين الإلفين . فشكراه على حسن السراح ، وانطلقا وهما كالماء والراح . وطفق القاضي بعد مسرحهما ، وتنائي شبحهما ؛ يثني على أدبهما ، ويقول : هل من عارف بهما ؟ فقال له عين أعوانه ؛ وخالصة خلصانه : أماالشيخ فالسروجي المشهود بفضله ، وأما المرأة فقعيدة رحله .

وأما تحاكمها فمكيدة من فعله ، وأحبولة من حبائل ختله . فأحفظ القاضي ماسمع ؛ وتلهب كيف خدع . ثم قال للواشي بهما : قم فردهما ؛ ثم أقصدهما وصدهما . فنهض ينفض مذرويه ، ثم عاد يضرب أصدريه . فقال له القاضي : أظهرنا على مانبثت ، ولاتخف عنا ما استخبثت ؟ فقال : مازلت أستقري الطرق ، واستفتح الغلق ، إلى ان أدركتهما مصحرين ، وقد زما مطي البين . فرغبتها في العلل ، وكفلت لهما بنيل الأمل . فأشرب قلب الشيخ أن ييأس ، وقال الفرار بقراب أكيس . وقالت هي : بل العود أحمد ؛ والفروقة يكمد . فلما تبين الشيخ سفه رائها ؛ وغرر اجترائها . أمسك ذلاذلها ثم أنشأ يقول لها :

دونك نصحي فاقتفي سبله   واغني عن التفصيل بالجمله
طيري متى نقرت عن نخلة   وطلقيها بتة بتله
وحاذري العود إليه ولو   سبلها ناطورها الأبله
فخير ما للص أن لايرى   ببقعة فيها له عمله

ثم قال لي : لقد عنيت في ماوليت ، فارجع من حيث جئت ؛ وقل لمرسلك إن شئت :

رويدك لاتعقب جميلك بالأذى   فتضحي وشمل المال والحمد منصدع
ولاتتغضب من تزيد سائل   فما هو في صون اللسان بمبتدع
وإن تك قد ساءتك مني خديعة   فقبلك شيخ الأشعريين قد خدع

فقال له القاضي : قاتله الله فما أحسن شجونه ، وأملح فنونه . ثم إنه أصحب رائده بردين ، وصرة من العين . وقال له : سر سير من لايرى

الإلتفات ، إلى أن ترى الشيخ والفتاة . فبل يديهما بهذا الحباء ، وبين لهما انخداعي للأدباء . قال الراوي : فلم أر في الإغتراب كهذا العجاب ، ولاسمعت بمثله ممن جال وجاب .

﴿ الفائدة السادسة والأربعون ﴾

من المقامة السادسة والأربعين التي تعرف : الحلبية ثم الحمصية . قال فيها لأهل الخصوصية ، في تمييز الظاء من الضاد ؛ مايشفي الأكباد ، ويكفي النقاد :

أيها السائلي عن الضاد والظا	ء لكيلا تضله الألفاظ
إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها	استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء ، والمظالم ، والإظلام	والظلم ، والظُبى ، واللحاظ
والعظا والظليم والظَّبي والشيظم	والظل ، واللظى ، والشواظ
والتظني واللفظ والنظم والتقـ	ـريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظا والنظير والظئر والجاحـ	حظ والناظرون والأيقاظ
والتشظي والظلف والعظم والظنـ	ـبوب والظهر والشظا والشظاظ
والأظافير والمظفر والمحـ	ـظور والحافظون والإحفاظ
والحظيرات والمظنة والظنـ	ـة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكظـ	ـة والإنتظار والإلظاظ
ووظيف وظالع وعظيـ	ـم وظهير والفظ والإغلاظ
ونظيف والظرف والظلف الظا	هر ، ثم الفظيع والوعاظ

وعكاظ والظعن والمظ والحنـــ ـظل والقارظـان والأوشاظ
وظراب الظران والشظف البا هــظ والجعــظري والجوَّاظ
والظرابين والحناظب والعنـــــ ـظب ثم الظيـان والأرعـاظ
والشناظي والدلظ والظـــــأب والظبظاب والعنظوان والجنعاظ
والشناظير والتعاظل والعظــــ ـلم والبظر بعـد والإنعـاظ
هي هذي سوى النوادر فاحفـــ ـظها لتقفو آثارك الحــــفاظ
واقض في ما صرفت منها كما تقـ ـضيه في أصله كقيظ وقاظـوا

(تفسير ماورد من الألفاظ في الأبيات المتقدمة)

الظمى : السمرة والذبول ، يقال شفة ظمياء فيها سمرة ، وساق ظمياء قليلة اللحم . المظالم : جمع مظلمة كالظلامة . الإظلام ضد الإنارة . الظلم بالفتح ماء الأسنان وبريقها . الظبى بالضم جمع ظبة ؛ وهي حد السيف أو السنان . اللحاظ : جانب العين مما يلي الصدغ . العظا : جمع العظاية ضرب من الوزغ . الظليم : ذكر النعام ، وبمعنى المظلمة كالظلام بضم الظاء . الظبى : الغزال . الشيظم : الشديد الطويل من كل شيء . اللظى : النار. الشواظ : النار بلا دخان . التظني : إعمال الظن . التقريظ : المدح للحي . القيظ : شدة الحر . الظما : العطش وأصله الهمز ويمد ، وأما الظمء بالكسر فهو مابين الشربتين والوردين . اللماظ : بالفتح والكسر ، الذوق بطرف اللسان ، وبالضم مايبقى في الفم من الطعام ، والفعل اللمظ والتلمظ . الحظا : جمع حظوة . الظئر : المرضعة . الجاحظ : من جحظت عينه جحوظا عظمت مقلتها . الأيقاظ : بكسر الهمزة التنبيه ،

وبفتحها المتنبهون . التشظي : التشـقق مـن شـظية العـود وهي فلقـة منـه . الظلف : هوظفر كل مجتر كالبقر والغنم وغيرها . الظنبوب : عظم الساق . الشظا : عظم لاصق بالذراع . الشظاظ : هو عود يجعل في عروة الجوالق . الأظافير : جمع أظفور كالظفر . المظفر : المنصور على غيره وبه تلقب الملوك . المحظـور : المحرم وهـو ماقابـل المبـاح . الإحفـاظ : الإغضـاب . الحظيرات : جمع حظيرة وهي جرين التمر وحظيرة القدس الجنـة . المظنـة : مظنة الشيء ، موضعه الذي يظن وجوده فيـه . الظنـة : بالكسر التهمـة . الكاظمون : الحابسون غيظهم . المغتاظ : من قام به الغـيظ . الوظيفـات : جمع الوظيفة ؛ وهي ماتقدر كل يوم من طعام وغيره وكالمناصب . المواظب : الملازم . الكظة : الشـبع المفرط . الإلظـاظ : الإلحـاح ، وفي الحـديث (**ألظوا بياذا الجلال**) . وظيف : ما استدق من الذراع والسـاق مـن الإبـل والخيل . ظالع : أعرج ؛ وفي نسخة ظالف . ظهير : معين . الفظ : الجافي القاسي ، ويطلـق عـلى المـاء الذي يعصر مـن الكـرش ويشرب في المفـاوز لعـدم المـاء . الظـرف : الوعـاء . الظلـف : مـن ظلفـت نفسـه ؛ كفـت عـما لايحمـل ، ورجـل ظلـف عزيـز الـنفس . الفظيـع : المـاء العـذب أوالـزلال والأمر الشديد الشـناعة . عـكاظ : موضع بـين مكـة والطـائف كان سـوقا تجتمع فيه العرب في السـنة مرة للبيع والشراء يقيمون فيـه شـهرا ؛ واشـتقاقه من عكظ إذا ازدحم . الظعن : الرحيل وهـو ضـد الإقامـة . المـظ : الرمـان البري . القارظان : جالبا القرظ وجانياه وهو ثمر السـنط تـدبغ بـه الجلـود . الأوشاظ : الأخلاط والجماعات ؟ الظـراب : الـربى الصـغار أوجمـع ظـرب

وهو الجبل المنبسط أوالصغير . الظران : الحجارة المحددة ، واحدها ظرر وهو حجر له حد كحد السكين . الشظف : البؤس وضيق المعيشة . الباهظ : الشاق أوالغالب . الجعظري : هو المنتفخ بما ليس عنده ، أوهو الفظ الغليظ القصير الرجلين العظيم الجسم مع قوة وشدة أكل . الجوَّاظ : الفاجر الضخم ، وقيل الأكول المختال في مشيته ، وفي الحديث **(أهل النار كل جعظري جواظ)** . الظرابين : جمع ظربان وهو دابة منتنة الريح لايطاق فسوها ، ويجمع على ظرابي بحذف النون ، وعلى ظربى وهو شاذ ولم يجئ الجمع على فعلى إلا ظربى وحجلى جمع حجل . الحناظب : ذكور الخنافس . العنظب : ذكر الجراد . الظيان : الياسمين البري . الأرعاظ : جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم . الشناظي : نواحي الجبل . الدلظ : الدفع . الظأب : الصخب ، يقال ظاب وظام ، وقيل أن الظأب والظأم إسمان لسلف الرجل . الظبظاب : هو الداء يقال مابه ظبظاب ؛ أي مابه داء كما يقال مابه قلبة ، أي ليس به علة . العنظوان : نبت . الجنعاظ : الأحمق ؛ وقيل إنه المتسخط عند الطعام . الشناظير : جمع شنظير وهو الرجل السيئ الخلق . التعاظل : هو تلازم الجراد والكلاب عند السفاد . العظلم : نبت يصبغ بعصارته الثوب فيصير احمر أوأسود . البظر : زائدة بين شفري فرج الأنثى كعرف الديك تقطعها الخافضة وهو ختانهن ، وفي شتائمهم يابن البظراء . الإنعاظ : مصدر انعظ انتشر . تقفو : تتبع . تقضيه : تفعله وتحكم به . قيظ : هو شدة الحر . قاظوا : دخلوا في القيظ فعل ماض . فاحفظها لتقفوا آثارك الحفاظ .

﴿ الفائدة السابعة والأربعون ﴾

من المقامة السابعة والأربعين ، التي تعرف بالحجامية والحجرية ، نتقلها مجمولة ، ونجليها منقولة ، لما فيها من الحكم المطلولة ، والنكت المشمولة . قال : حكى الحارث بن همام قال : احتجت إلى الحجامة وأنا بحجر اليمامة ، فأرشدت إلى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة . فبعثت غلامي لإحضاره ، وأرصدت نفسي لإنتظاره . فأبطأ بعد ما انطلق ؛ حتى خلته قد أبق ، أوركب طبقا عن طبق . ثم عاد عود المخفق مسعاه ، الكل على مولاه . فقلت له : ويلك أبطا فند وصلود زند ! فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين ، وفي حرب كحرب حنين . فعفت الممشى إلى الحجام ؛ وحرت بين إقدام وإحجام . ثم رأيت أن لاتعنيف على من يأتي الكنيف . فلما شهدت موسمه ، وشاهدت مبسمه . ورأيت شيخا هيئته نظيفة ، وحركته خفيفة . عليه من النظارة أطواق ، ومن الزحام طباق ، وبين يديه فتى كالصمصامة ، مستهدفا للحجامة . والشيخ يقول له أراك قد أبرزت رأسك قبل أن تبرز قرطاسك ، ووليتني قذالك ولم تقل لي ذا لك ! ولست ممن يبيع نقدا بدين ، ولايطلب أثرا بعد عين . فإن أنت رضخت بالعين حجمت في الأخدعين . وإن كنت ترى الشح أولى ، وخزن الفلس في النفس أحلى . فاقرأ عبس وتولى ، واغرب عني وإلا . فقال الفتى : والذي حرم صوغ المين ، كما حرم صيد الحرمين ، إني لأفلس من ابن يومين . فثق بسيل تلعتي ؛ وأنظرني إلى سعتي . فقال له الشيخ

: ويحك إن مثل الوعود كغرس العود ، هو بين أن يدركه العطب أويدرك منه الرطب . فما يدريني أيحصل من عودك جنى ، أم أحصل منه على ضنى . ثم ما الثقة بأنك حين تبتعد ؛ ستفي بما تعد . وقد صار الغدر كالتحجيل ؛ في حلية هذا الجيل . فأرحني بالله من التعذيب ؛ وارحل إلى حيث يعوي الذيب . فاستوى الغلام إليه ؛ وقد استولى الخجل عليه وقال : والله مايخيس بالعهد ؛ غير الخسيس الوغد ، ولايرد غدير الغدر ؛ إلا الوضيع القدر . ولو عرفت من أنا لما أسمعتني الخنا . لكنك جهلت فقلت ؛ وحيث وجب أن تسجد بلت . وما أقبح الغربة والإقلال ، وأحسن قول من قال :

إن الغـريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غـريب ماله قوت
لكنه ماتشين الحـر موجعة ... فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما أصلي الياقوت جمر غضى ... ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ : ياويلة أبيك وعولة أهليك ، أأنت في موقف فخر يظهر ؛ وحسب يشهر ؟ أم موقف جِلد يكشط وقفاً يشرط ! وهب أن لك البيت كما ادعيت ؛ أيحصل بذلك حجم قذا لك ؟ لا والله ولو أن أباك أناف على عبد مناف . أولخالك دان عبد المدان . فلا تضرب في حديد بارد ، ولاتطلب مالست له بواجد . وباه إذا باهيت بموجودك لابجدودك ، وبمحصولك لا بأصولك . وبصفاتك لابرفاتك . وبأعلاقك لا بأعراقك . ولاتطع الطمع فيذلك ، ولاتتبع الهوى فيضلك . ولله در القائل لإبنه :

بني استقم فالعود تنمي عـــروقه قويماويغشاه إذا ما الــــتوى التوى
ولاتطع الحرص المذل وكن فـتى إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طـــوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق إلى النجم لما أن أطاع الهوى هــــوى
وأسعف ذوي القربى فيقبح أن يرى على من إلى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون إذا نبا زمان ومن يرعى إذا ما النوى نـــوى
وإن تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ إذا اعتلقت أظفاره بالشوى شـــوى
وإياك والشكوى فلم تر ذا نهـى شكا بل أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة : ياللعجيبة والطرفة الغريبة ! أنف في السماء وأست في الماء . ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء . ثم أقبل على الشيخ بلسان سليط ، وغيظ مستشيط . وقال : أف لك من صواغ باللسان ؛ رواغ عن الإحسان ، تأمر بالبر وتعق عقوق الهر . فإن يكن سبب تعنتك نفاق صنعتك ؛ فرماها الله بالكساد ؛ وإفساد الحساد . حتى ترى أفرغ من حجام ساباط وأضيق رزقا من سم الخياط . فقال له الشيخ : بل سلط الله عليك بثر الفم ؛ وتبيغ الدم ، حتى تلجأ إلى حجام عظيم الإشتطاط ، ثقيل الإشتراط ، كليل المشراط ، كثير المخاط والضراط . قال : فلما تبين الفتى أنه يشكو إلى غير مصمت ، ويراود استفتاح باب مصمت . أضرب عن رجع الكلام ، واحتفز للقيام . وعلم الشيخ أنه قد ألام بما أسمع الغلام . فجنح إلى سلمه ؛ وبذل أن يذعن لحكمه ، ولايبغي أجرا على حجمه . وأبى الغلام إلا المشي بدائه ؛ والهرب من لقائه . وما زالا في حجاج وسباب ، ولزاز وجذاب ، إلى أن ضج الفتى من الشقاق ،

وتلاردنه سورة الإنشقاق . فأعول حينئذ لوفارة خسره ، وانعطاط عرضه وطمره . وأخذ الشيخ يعتذر من فرطاته ، ويغيض من عبراته . وهو لا يصغي إلى اعتذراه ؛ ولايقصر عن استعباره . إلى أن قال له : فذاك عمك وعداك مايغمك ! أما تسأم الإعوال ! أما تعرف الإحتمال ! أما سمعت بمن أقال ! وأخذ بقول من قال :

أخمد بحلمك مايذكيـــه ذوسفه   من نار غيظك واصفح إن جنى جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به   والأخذ بالعفو أحلى ماجنى جـــاني

فقال له الغلام : أما إنك لو ظهرت على عيشي المنكدر ؛ لعذرت في دمعي المنهمر ، ولكن هان على الأملس مالاقى في الدبر . ثم كأنه نزع إلى الإستحياء ؛ فأقلع عن البكاء ؛ وفاء إلى الإرعواء . وقال للشيخ : قد صرت إلى ما اشتهيت ؛ فارقع ما أوهيت . فقال : هيهات شغلت شعابي جدواي ؛ فشم بارق سواي . ثم إنه نهض يستقري الصفوف ؛ ويستجدي الوقوف ، وينشد في ضمن ماهو يطوف :

أقسم بالبيت الحــرام الذي   تهوي إليه الزمـــــــر المحرمه
لو أن عندي قوت يوم لمـــا   مست يدي المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل   تسمو إلى المجــد بهذي السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة   مني ولاشاكـــته مني حمه
لكن صروف الدهر غادرتني   كخابط في ليلة مظلـــــمه
واضطرني الفقر إلى موقف   من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقـــــة   علي أوتعطفه مرحـــــمه

قال الحارث بن همام : فكنت أول من أوى لبلواه ، ورق لشكواه . فنفحته بدرهمين ، وقلت لاكانا ولوكان ذا مين . فابتهج بباكورة جناه ، وتفاءل بهما لغناه . ولم تزل الدراهم تنهال عليه ، وتنثال لديه ، حتى آل ذا عيشة خضراء ، وحقيبة بجراء . فازدهاه الفرح عند ذلك ، وهنأ نفسه بما هنالك . وقال للغلام : هذا ريع أنت بذره ؛ وحلب لك شطره . فهلم لنقتسم ولانحتشم . فتقاسماه بينهما شق الأبلمة . ونهضا متفقي الكلمة . ولما انتظم بينهما عقد الإصطلاح ؛ وهم الشيخ بالرواح . قلت له : قد تبوغ دمي ، ونقلت إليك قدمي . فهل لك أن تحجمني ، وتكفكف مادهمني ؟ فصوب طرفه في وصعد ، ثم ازدلف إلي وأنشد :

كيف رأيت خدعتي وختلي ... وماجرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت فائزا بالخصل ... أرعى رياض الخصب بعد المحل
با لله يامهجة قلبي قل لي ... هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل ... ويستبي بالسحر كل عقل
ويعجن الجد بماء الهزل ... إن يكن الإسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل ... والفضل للوابل لا للطل

قال : فنبهتني أرجوزته عليه ؛ وأرتني أنه شيخنا المشار إليه . فقرعته على الإبتذال ؛ والإلتحاق بالأرذال . فأعرض عما سمع ، ولم يبل بما قرع . وقال : كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع . ثم قاصاني مقاصاة المهان ، وانطلق هو وابنه كفرسي رهان .

(قال الشيخ الإمام الرئيس أبو محمد القاسم بن علي رضي الله عنه : قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب ، وها أنا أفسر ما إخاله يلتبس على من يقتبس . أما قوله : بطء فند . فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا . فقصد من فوره مصر وأقام بها سنة ، ثم جاءها بعد السنة وهو يشتد ومعه جمر ، فتبدد منه فقال : تعست العجلة . وأما قوله : أنف في السماء وأست في الماء . فيضرب هذا المثل لمن يكبر مقالا ويصغر فعالا . وأما قوله : أفرغ من حجام ساباط . فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المدائن ، يحجم الجندي بدانق نسيئة ، وربما مرت عليه برهة لايقربه فيها أحد . فكان يبرز أمه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة . فمازال يحجمها حتى نزف دمها وماتت . وأما قوله : يشكو إلى غير مصمَّت . فهو مثل يضرب لمن لايكترث لشأن صاحبه ، ولايعبأ باستمرار شكايته . لأنه لو أشكاه لصمت وأمسك عن الكلام . ومنه قول الراجز يخاطب جملا له :

إنك لاتشكو إلى مصمِّت فاصبر على الحمل الثقيل أومت

ونحو هذا المثل : هان على الأملس مالاقى الدبر . وأما قوله : شغلت شعابي جدواي . فالمراد به أنه ليس يفضل عني ما أصرفه إلى غيري . والشعاب هي النواحي ، واحدها شعب . وقوله : كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع . معناه أن المجهود يقنع بما يجد . والوقع ان تصيب

الحجارة القدم فتوهنها . فأما البعير الموقع فهو الذي يكثر آثار الدبر بظهره .)

﴿ الفائدة الثامنة والأربعون ﴾

من المقامة الثامنة والأربعين التي تعرف بالحرامية . قال فيها : أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة ، وأن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة . وأن الدين إمحاض النصيحة ، والإرشاد عنوان العقيدة الصحيحة . وأن المستشار مؤتمن ، والمسترشد بالنصح قمن . وأن أخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك . وصديقك من صدقك لامن صدقك . ثم قال في آخرها شعراً :

عش بالخداع فأنت في ... دهـــــر بنوه كأسد بيشه
وأدر قناة المكر حتـــ ... ى تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فإن تعـــ ... ـذر صيدها فاقنـــع بريشه
واجن الثمار فإن تفتـــ ... ـك فرض نفسك بالحشيشه
وأرح فـؤادك إن نـبـا ... دهر من الفكر المطيـــــشه
فتغاير الأحداث يـــؤ ... ذن باستحالـــة كل عيشه

﴿ الفائدة التاسعة والأربعون ﴾

من المقامة التاسعة والأربعين التي تعرف بالساسانية . قال فيها : يابني إني جربت حقائق الأمور ، وبلوت تصاريف الدهور . فرأيت المرء بنشبه لابنسبه ، والفحص عن مكسبه لاعن حسبه . وكنت سمعت أن

المعايش إمارة وتجارة وزراعة وصناعة . فمارست هذه الأربع لأنظر أيها أوفق وأنفع . فما أحمدت منها معيشة ؛ ولااسترغدت فيها عيشة . أما فرص الولايات وخلس الإمارات ، فكأضغاث الأحلام . والفيء المنتسخ بالظلام . وناهيك غصة بمرارة الفطام . وأمابضائع التجارات فعرضة للمخاطرات ، وطعمة للغارات . وما أشبهها بالطيور الطيارات . وأما إتخاذ الضياع والتصدي للإزدراع ؛ فمنهكة للأعراض ، وقيود عائقة عن الإرتكاض . وقل ماخلا ربها عن إذلال ، أورزق روح بال . وأما حرف أولي الصناعات فغير فاضلة عن الأقوات ، ولانافقة في جميع الأوقات ، ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة . ولم أر ماهو بارد المغنم ، لذيذ المطعم ، وافي المكسب ؛ صافي المشرب ؛ إلا الحرفة التي وضع ساسان أساسها ونوع أجناسها . وأضرم في الخافقين نارها ، وأوضح لبني غبراء منارها . فشهدت وقائعها معلما ، واخترت سيماها لي ميسما . إذكانت المتجر الذي لايبور ، والمنهل الذي لايغور ، والمصباح الذي يعشو إليه الجمهور . ويستصبح به العمي والعور . وكان أهلها أعز قبيل ، وأسعد جيل . لايرهقهم مس حيف ، ولايقلقهم سل سيف . ولا يخشون حمة لاسع ، ولايدينون لدان ولاشاسع . ولايرهبون ممن برق ورعد ، ولايحفلون بمن قام وقعد . أنديتهم منزهة ، وقلوبهم مرفهة . وطعمهم معجلة ، وأوقاتهم محجلة . أينما سقطوا لقطوا ، وحيثما انخرطوا خرطوا . لايتخذون أوطانا ، ولايتقون سلطانا . ولايمتازون عن ما تغدو خماصا وتروح بطانا . فقال له ابنه : يا أبت لقد صدقت فيما نطقت ، ولكنك رتقت ومافتقت . فبين لي

كيف أقتطف ، ومن أين تؤكل الكتف . فقال : يابني إن الإرتكاض بابها ، والنشاط جلبابها ، والفطنة مصباحها ، والقحة سلاحها . فكن أجول من قطرب ، وأسرع من جندب . وأنشط من ظبي مقمر ، وأسلط من ذيب متنمر . وأقدح زند جدك بجدك ، واقرع باب رعيك بسعيك . وجب كل فج ، ولج كل لج . وانتجع كل روض ، والق دلوك إلى كل حوض . ولا تسأم الطلب ، ولا تمل الدأب . فقد كان مكتوبا على عصى ـ شيخنا ساسان : من طلب جلب ، ومن جال نال . وإياك والكسل ، فإنه عنوان النحوس ، ولبوس ذوي البؤس . ومفتاح المتربة ، ولقاح المتعبة . وشيمة العجزة الجهلة ، وشنشنة الوكلة التكلة . وما اشتار العسل من اختار الكسل . ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة . وعليك بالإقدام ، ولو على الضرغام . فإن جراءة الجنان ، تنطق اللسان ، وتطلق العنان . وبها تدرك الحظوة ، وتملك الثروة . كما أن الخور صنو الكسل ، وسبب الفشل ، ومبطأة للعمل ، ومخيبة للأمل . ولهذا قيل في المثل : من جسر ـ أيسر ـ ، ومن هاب خاب . ثم أبرز يابني في بكور أبي زاجر ، وجراءت أبي الحارث ، وحزامة أبي قرة ، وختل أبي جعدة ، وحرص أبي عقبة ، ونشاط أبي وثاب ، ومكر أبي الحصين ، وصبر أبي أيوب ، وتلطف أبي غزوان ، وتلون أبي براقش ، وحيلة القصير ، ودهاء عمرو ، ولطف الشعبي ، واحتمال الأحنف ، وفطنة إياس ، ومجانة أبي نواس ، وطمع أشعب ، وعارضة أبي العيناء . وأخلب بصوغ اللسان ، واخدع بسحر البيان ، وارتد السوق قبل الجلب ، وامتر الضرع قبل الحلب ، وسائل

الركبان قبل المنتجع ، ودمث لجنبك قبل المضطجع ، واشحذ بصيرتك للعيافة ، وانعم نظرك للقيافة . فإن من صدق توسمه طال تبسمه . ومن أخطأت فراسته أبطأت فريسته . وكن يابني خفيف الكل ، قليل الدل ، راغبا عن العل ، قانعا من الوبل بالطل . وعظم وقع الحقير ، واشكر على النقير ، ولاتقنط عند الرد ، ولاتستبعد رشح الصلد . ولاتيأس من روح الله . إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . وإذا خيرت بين ذرة منقودة ، ودرة موعودة ؛ فمل إلى النقد ؛ وفضل اليوم على الغد . فإن للتأخير آفات ، وللعزائم بدوات . وللعدات معقبات ، وبينها وبين النجاز عقبات وأي عقبات . وعليك بصبر أولي العزم ، ورفق ذوي الحزم . وجانب خرق المشتط ، وتخلق بالخلق السبط . وقيد الدرهم بالربط ، وشب البذل بالضبط . ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولاتبسطها كل البسط . ومتى نبأ بك بلد ؛ أونابك فيه كمد ، فبت منه أملك ؛ واسرح منه جملك ، وخير البلاد ماجملك . ولاتستثقلن الرحلة ، ولاتكرهن النقلة . فإن أعلام شريعتنا وأشياخ عشيرتنا أجمعوا على أن الحركة بركة ، والطراوة سفتجة . وزروا على من زعم أن الغربة كربة ، والنقلة مثله ، وقالوا : هي تعلة . من اقتنع بالرذيلة ، ورضي بالحشف وسوء الكيلة . وإذا أزمعت على الإغتراب ، وأعتدت له العصا والجراب . فتخير الرفيق المسعد ، من قبل أن تصعد . فإن الجار قبل الدار . والرفيق قبل الطريق .

﴿ الفائدة الخمسون ﴾

من المقامة الخمسين التي تعرف بالبصرية ، وهي آخر المقامات المقرية . قال في آخرها شعراً :

خل ادكارك الأربعِ		والمعهد المرتبـــــعِ
والظاعن المــودعِ		وعد عـــــنه ودعِ
واندر زمان سـلفا		سودت فيه صحــفا
ولم تزل معتكفـــا		على القبـــيح الشنعِ
كم ليلة أودعـــتها		مآثم ابتدعـــــتها
لشهوة أطعـــتها		في مـــرقد ومضجعِ
وكم خطى حثثتها		في خـــزية أحدثتها
وتوبة نكثـــــتها		لملعب ومرتـــــع
وكم تجرأت عـــلى		رب السموات العـلى
ولم تراقـــبه ولا		صدقت في ما تـدعي
وكم غمصت بـــره		وكم أمنت مكـــره
وكم نبذت أمـــره		نبذ الحذا المرقـــع
وكم ركضت في اللعب		وفهت عمدا بالكـذب

ولم تراعي مايجـب   من عهده المتـــــبع
فالبس شعار الـندمِ   واسكب شآبيب الدمِ
قبل زوال الـقـدم   وقبل سوء المصـــرع
واخضع خضوع المعترف   ولذ ملاذ المقـــترف
واعص هواك وانحرف   عنه انحراف المقلـــع
إلام تسهو وتـــني   ومعظم العمر فــــني
في مايضر المقتـني   ولست بالمرتــــــدع
أما ترى الشيب وخط   وخط في الرأس خطط
ومن يلح وخط الشمط   بفوده فقــــــد نعي
ويحك يانفس أحرصي   على ارتياد المخــــلص
وطاوعي وأخلصي   واستمعي النصح وعي
واعتبري بمن مضى   من القرون وانقــضى
واخشي مفاجاة القضا   وحـاذري أن تخـدعي
وانتهجي سبل الهدى   وادكري وشك الـردى
وأن مثواك غــــدا   في قعر لحـــــد بلقع
آها له بيت البـلى   والمنزل القفر الخـــلا
ومورد السفر الألى   واللاحق المتــــبع
بيت يرى من أودعه   قد ضمه واستودعـــه
بعد الفضاء والسعه   قيد ثـــــلاث أذرع
لافرق أن يحــــله   داهـية أوأبـــــــله

أومعسر أو من لـه ... ملك كملك تـــبع
وبعده العرض الذي ... يحوي الحيي والبـذي
والمبتدي والمحتذي ... ومن رعى ومن رعـي
فيامـفاز المتـــقي ... وربح عبد قـــد وقي
سوء الحساب الموبق ... وهول يوم الفـــزع
وياخسارة من بغى ... ومن تعدى وطـــغى
وشب نيران الوغى ... لمطعم أو مطــــمع
يامن عليه المتـكل ... قد زاد مابي من وجل
لما اجترحت من زلل ... في عمري المضـــيع
فاغفر لعبد مجـــترم ... وارحم بكاء المنـسجم
فأنت أولى من رحم ... وخير مـــدعو دعي

ثم قـال آخرهـا : اجعـل المـوت نصب عينـك ، وهـذا فـراق بيـني وبينك . وختمها الشيخ رحمه الله بقـوله : هـذا آخـر المقامـات الـتي أنشـأتها بالإغـترار ، وأمليتهـا بلســان الإضـطرار . وقـد أجئـت إلى أن أرصـدتها للإستعراض ، وناديت عليها في سـوق الإعتراض . هـذا مع معـرفتي بأنهـا مـن سـقط المتـاع ، وممـا يسـتوجب أن يبـاع ولايبتـاع . ولوغشـيني نـور التوفيـق ، ونظـرت لنفسي ـ نظـر الشـفيق ؛ لسـترت عـوراي الذي لم يـزل مستورا ، ولكن كان ذلك في الكتاب مسـطورا . وأنا أسـتغفر الله تعـالى مما أودعتها من أباطيل اللغو ، وأضاليل اللهو . وأسترشده إلى مايعصم مـن السهو ويحظي بالعفو. إنه هو أهـل التقـوى وأهـل المغفـرة ، وولي الخيرات

في الدنيا والآخرة . قال المؤلف عفا الله عنه وتقبل منه ، كان الفراغ من تأليفها في شهر الحجة الحرام عام : ١١٦٨ هجرية . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

تم نقل هذ الكتاب بحمد الله وعونه من نسخة تاريخ كتابتها : ١٦ ضفر ١٣٦٣ هـ بقلم الحبيب سالم بن محمد بن عبد الله بن محسن بن سالم بن عمر العطاس رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه الجنة دار وجزاه الله عنا خير ماجزاء السادة الأطهار . وتم نقلها على يد العبد الفقير إلى رب الناس : احمد بن عمر بن احمد بن عبد الله بن طالب العطاس . غفرالله له ولوالديه ولمن كان سببا في تحصيلها . وكان الفراغ من نقلها ليلة الأحد : ١٤٢٥/٥/٢٩ ببلد الأحساء . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتنزل البركات ، وتقضى الحاجات ، في جميع الأوقات .

والصلاة والسلام على أشرف البريات سيدنا محمد وعلى آله

وأصحابه السادات القادات وسلم تسليما

كثيرا والحمد لله رب العالمين

آمين اللهم آمين .

الفهرس

لكل ريبة لما فيها من حكم ومواعظ نسأل الله أن ينفعنا بها وأن يرزقنا الإعتبار والتزود لتلك الدار التي هي دار القرار

تمت وبلخير عمت

بعون الله وتوفيقه تم الإنتهاء من مراجعة وفهرست كتاب تحفة الأدب ونزهة العرب ، مقدمة مقامات الحريري لسيدي الإمام الحبيب علي بن حسن العطاس نفعنا الله به وبعلومه في الدارين آمين ، وذلك ظهر يوم الخميس : ١٢ جمادي الآخر ١٤٢٥ هـ ببلد الأحساء والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتتنزل البركات . ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . اللهم اجعل خير أعمارنا آخرها ، وخير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاك وأنت راض عنا .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد من افتتحت به وجود الخلائق طرا ، وختمت به عقد النبوة الغرا ، وجعلته أعلى النبيين فضلا وأعظمهم أجرا ، وخلقت جميع الأنوار من نوره فزادات رتبته قدرا . صلاة وسلاما دائمين لائقين بتلك الحضرة العلية عدد أفراد أنواع البرية ، ماظهر منها في الوجود ومابطن ، وماتحرك منها وماسكن ، وعدد مالك في خلقك من إفضال ومنن ، وعدد كل عدد وقع وسيقع في الملك والملكوت

إن أريدت إحاطته لايحصى ، اوجمع أنواع جمله وافراده بعد لايستقصى ، اللهم اشرح بها صدورنا ، ويسر بها أمورنا ، وأخرجنا بها من كل ضيق وعسر ، إلى كل فرج ويسر . وقربنا قربة نصير بها لديك من أعلى المقربين ، واكتبنا عندك من المحبوبين ، وأبعدنا من ديوان البعداء والمطرودين ، وبارك اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على أشرف الخلق سيدنا محمد صلاة تنجينا به وبها من جميع الأهوال والآفات ، وتقضي لنا به وبها جميع الحاجات ، وتطهرنا به وبها من جميع السيئات ، وترفعنا به وبها عندك أعلى الدرجات ، وتبلغنا به وبها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات ، في الدين والدنيا والآخرة ، في خير ولطف وعافية . اللهم اجعلنا ضنانيك من خلقك الذين تحييهم في عافية ، وتميتهم في عافية ، وتعصمهم من مضلات الفتن ، وتحفظهم من آفات الزمن ، وتسلمهم من مصائب الدين والبدن ، ولاتشتت همنا في أودية الدنيا ، وحبب إلينا كلما ماتحبه يابر ياوصول ، بحرمة سيدنا محمد الرسول .

يا الله ياواجد ياموجود ياجواد ياباسط ياكريم ياوهاب ياذا الطول ياغني يامغني يافتاح يارزاق ياعليم ياحي ياقيوم يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ، ياحنان يامنان ياقديم الإحسان ، يامن إحسانك فوق كل إحسان ، عاملنا بالإحسان ولاتردنا بسلاسل الإمتحان ، وارزقنا من رزقك الحلال الطيب المبارك الواسع الهني في الأوطان ، من غير محنة ولا امتحان ، مع اللطف والعافية في الأديان والأبدان ، بحرمة

سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه ولد عدنان . اللهم تمم لي النعمة حتى تهنيني المعيشة ، واختم لي بخير حتى لاتضرني ذنوبي ، واكفني هم الدنيا وأهوال يوم القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية ، وارزقني رزقا حلالا وبارك لي فيه ، واسترني به في الدنيا والآخرة في عافية ياكريم .

اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين ، وكثر الأنين ، وأيس منا الطبيب ، وبكى علينا الحبيب . اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب ، وأودعنا الأحباب ، وفارقنا النعيم ، وانقطع عنا النسيم . اللهم ارحمنا إذا نسي إسمنا ، وتلاشى رسمنا ، واندرس قبرنا ، وانطوى ذكرنا ، ولم يزرنا زائر ، ولم يذكرنا ذاكر . اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر ، وتبدئ الضمائر ، وتنشر الدواوين ، وتوضع الموازين ، برحمتك ياأرحم الراحمين ، آمين اللهم آمين . اللهم بحق محمد الذي هديت به الناس ، وجلوت به الأغلاس ، وبحق عمر العطاس ، وماحواه القرطاس ؛ أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد القائم بالحق بين الناس ، ، وأن تنزل بأعدائنا كل باس ، وتقطع منهم كل راس ، وتنزلهم منزلة القائل لامساس ، ولاتخلفهم وعد الهلاك والإفلاس ، والبعد والإبلاس . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين . آمين .

احمد بن عمر العطاس

الأحساء : ١٤٢٥/٦/١٢ هـ